بسم الله الرحمن الرحيم

عدالة الحكم الاسلامى لمصر فى عصر الولاة (١٨ هـ ـ ٢٥٤ هـ) ، ومظاهر التسامح الدينى بها ، فى ضوء أوراق البردى العربية

بقلم / أحمد فؤاد سيد

فهرست المقال :

الامتداد الزمنى لاوراق البردى العربية التى عثر عليها ورجوع أغلبها الى عصر الولاه .

أهمية اوراق البردى العربية التى عثر عليها بكوم اشقاو " افروديتى بولس " ، الخاصة بالوالى الاموى قره بن شريك ، فى تأكيد عدالة الحكم الاسلامى لمصر ، وتسامحه الدينى .

جاءت الحقائق التاريخية التى قدمتها اوراق البردى العربية ، مصداقا للأحاديث النبوية الصحيحة ، التى تنبأ فيها النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين بفتح مصر وأوصاهم بالقبط خيرا .

الطابع الانسانى ، والسلوك الحضارى ، والهدف الدينى للفتح الاسلامى لمصر فى ضوء اوراق البردى العربية المتعلقة بالفتح الاسلامى لمصر والمؤرخة بتاريخ ٢٢ هـ .

الوضع الشرعى والادارى لمصر بعد الفتح فى ضوء البرديات (الخراج ـ الجزية ـ الضيافة ـ الكنائس) .

تمتع أهل الذمة بمصر بحقوقهم المدنية والقضائية فى ضوء البرديات القضائية والفقهية .

اشراك العرب للقبط فى ادارة بلادهم فى ضوء البرديات الادارية .

تسجيل الحكومة العربية الاسلامية بمصر لمسالمة اهل الذمة فى ديوان العطاء والجند واشراكهم فى الفئ فى ضوء البرديات الادارية .

مظاهر الود والمصاهرة بين العرب وقبط مصر ، كما تكشف عنها عقـــــود الزواج المسجلة على البرديات العربية .

(الامتداد الزمنى لاوراق البردى العربية ، ورجوع اغلبها الى عصر الولاة)

ترجـــع أوراق البردى العربية التى وصلت الينا ، الى الفترة التاليـــــة للفتح العربى الاسلامى لمصر سنة (١٨ـ٢١هـ) . فأقدم البرديات التى وصلتنـا بردية مؤرخة بتاريخ جمادى الاولى سنة ٢٢ هـ ، من عهد الفتح الاسلامى لمصـــر ، وهذه البردية محفوظة فى مجموعة الارشيدوق ديز Rainer بمكتبة البرتينـــا فى فينا . وتستمر البرديات العربية وتطرد بكثرة حتى القرن الثالث الهجـــرى ـ اى القرون الثلاثة الممثلة لعصر الولاة ـ ثم تقل بعض الشىء فى القرون التاليـــة حتى القرن السادس الهجرى أى الى نهاية العصر الفاطمى بمصر ، ثم تأخـــــذ فى القلة والندرة حتى القرن التاسع والعاشر الهجرى ، الذى ينتهى به حكم دولـة سلاطـــين المماليك بمصر وتزول فيه الخلافـــة العباسية مـــن مصر ، بدخـــول السلطان سليم الأول العثمانى مصر ، ونقلـه للخلافة الاسلامية وعـاصمة الخلافـة من مصـــر الى الاستانة .

ونحن نستطيع تتبع هذا الاتصال والاطراد للبرديات العربية ، اعتمادا علـى مجموعة الارشيدوق راينر فى مكتبة البرتينا بالنمسا (مكتبة فيينا القومية) . وهـــــى أكبر وأغنى مجموعة من البردى العربى والمصرى فى العالم كله . والجزء المفهـــرس من هذه المجموعة يبلغ تسعمائة وخمسين بردية ، ارقامها فى فهرست المجموعـــة من ٥٥٠ الى ١٤٠٠ وكلها من مصر ، وأقدمها مؤرخة عام ٢٢ هجرية من عهـــد خلافـة عمر بن الخطاب ، وأحدثهما مؤرخة عام ٧٨٠ هـ. من عهد السلطان المنصور محمد فى عصر المماليك .

والبرديات التى ترجع الى عصر الولاه (١٨ هـ - ٢٥٤ هـ)، واحتفظت بهـا مكتبة البرتينا بالنمسا ، بيانها كالاتى :

عصـــر الخلفاء الراشديـــن

الخليفة عمر بن الخطاب من رقم ٥٥٠ الى ٥٦٢
الخليفـة عثمان بن عفان من رقم ٥٦٣ الى ٥٦٧

وقد نشر ادولف جروهمان جزءا من البرديات العربية بمكتب الارشيـــدوق رينر بفينا ، بالاضافة الى بعض طرز البرديات العربية المحفوظة بدار الكتـــب المصرية.

Adolf Grohmann: Corpus papyrorum Raineri archiducis Austriae. III, Serie Arabica, (Wien, 1924)

(١) انظـــر :

1- Vienna National bibliotheki mittheilungen aus der Sammlung der Papyrus Erzherzog Rainer (6 Vols; Wiev, 1887-1897.
2- Karabacek, Josef Von: Das Arabische Papier. (Wien, 1887).
3- Karabacek. Josef Von: Papyrus Erzherzog Rainer Führer durch die Ausstellung Vienna. National Bibliothek (Wien, 1894).

وفي هذا الدليل الاخير ، عرض لأهم البرديات التى فحصها كراباتشك، منسقة فى فصول حسب لغاتها ، والفصل الخاص بالبردى العربى ، يقـدم ٩٥٠ بردية عربية مصرية من الفتح العربى لمصر ، الى عصر المماليـك وهذه البرديات مرتبة تاريخيا ، وقد وضعت بردية ، مع تعليق مـــن "كراباتشك" على نصها وما حوله من ظروف تاريخية ، ويقع هذا القســم العربى من ص ١٣٣ ، وأرقام برديا ته فى فهرس البرتينا من ٥٥٠ - ١٤٠٠.

وانظر آيضا عائشة عبد الرحمن : تقرير عن أوراق البردى فى مكتبـــة فينا البرتينا Albertina ، طبع على الاستنسل بالقاهرة سنـــة ١٩٦٤ م ، ص ٢.

مصـــر في العصر الأموى (من سنة ٤٠ هـ ـ ١٣٢ هـ)

من عهـــد معاوية ويزيد من رقم ٥٦٨ الى ٥٨١.

من عهـــد عبد الملك بن مروان من رقم ٥٨٢ الى ٥٩١

من عهد الوليد بن عبد الملك من رقم ٥٩٢ الى ٥٩٥

من عهد عمر بن عبد العزيز بردية رقم ٥٩٦

من عهد هشام بن عبد الملك من رقم ٥٩٧ـ٦٠٧

من عهـــد مروان بن محمد بردية رقم ٦٠٨

مصر في العصر العباسى (من سنة ١٣٢هـ ـ ٢٥٥ هـ)

من عهد ابى العباسى السفاح برديـــــة رقم ٦٠٩

من عهد ابى جعفر المنصور بردية (١/ ٩٠ مراسيم)

من عهد محمد المهدى من رقم ٦١٠ـ ٦١٦

من عهد هارون الرشيد من رقم ٦١٧ـ٦٦٥

من عهد محمد الأمين من رقم ٦٦٦ـ ٦٨٢

من عهـــد المأمون من رقم ٦٨٣ـ٧٢٣

من عهد المعتصم بالله من رقم ٧٢٤ـ٧٤٩

من عهد الواثق بالله من رقم ٧٥٠ـ٧٥٥

من عهد المتوكل على الله من رقم ٧٥٦ـ٧٧٥

من عهـــد المنتصر بالله بردية رقم ٧٧٦

من عهد المستعين بالله من رقم ٧٧٧ الى ٧٨٥

من عهد المعتز بالله من رقم ٧٨٦ الى ٧٩٣ (١)

---

(١) انظر J- Karabacek: Papyrus Erzherzog Rainer. Wien 1894 P. 133 etc.

عائشة عبد الرحمن : تقرير عن اوراق البردى فى مكتبة فيينا البرتينـــا ، القاهرة ١٩٦٤م، ص٢٢ـ٢٣.

أهمية أوراق البردى العربية التى عثر عليها بكوم اشقاو " أفروديتى بوليس" ، الخاصة بالوالى الأموى قرة بن شريك، فى تأكيد عدالة الحكم الاسلامى لمصر ، وتسامحه الدينى :

وتعد مجموعة أوراق البردى العربية التى عثر عليها فى سنة ١٩٠١م ، فى قرية كوم اشقاو الحالية (أفروديتى قديما) ، وتقع بين أبى تيج وطهطا بصعيد مصر ، وهى تابعة لمركز طهطا ، من مديرية جرجا ، وتقع على بعد ٧ كيلو متر من جنوب غرب طما وكانت قديما قاعدة القسم العاشر من الوجه القبلى (*) . أهم مجموعة متكاملة من أوراق البردى العربية التى وصلتنا عن عصر الولاه ، وبصفة خاصة عن العصر الأموى ، مدة ولاية الوالى قرة بن شريك (٩٠هـ ـ ٩٦هـ) (١) .

وقد عد المستشرق جروهمان هذه المجموعةالوحيدة التى وصلتنا كمجموع كامل فى صعيد واحد من عمل واحد فى الحفائر ، فبرديات كوم اشقاو تمثل فى رأيه مجموعة كاملة عن هذه المدينة فى زمن معين (٢) .

---

* — محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥م ، القسم الاول ، البلاد المندرسة ، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٣ـ١٩٥٤م ، ص ٢١ ، القسم الثانى ، الجزء الرابع ، طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٦٣م، ص ١٣٦ .

(١) عن ولاية هذا الوالى لمصر ، انظر ابو عمر بو يوسف الكندى المصرى ، "كتاب الولاه وكتاب القضاه "بتحقيق المستشرق رفن كست، طبع بمطبعة الاباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٠٨ م ، ص ٦٣ـ٦٦ ، ودفن بمقبرة مصر، وانظر ايضا الطبرى : تاريخ الرسل ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، طبع المعارف ١٩٦٤ م ، ٦ : ٤٤٢ .

(٢) أدولف جروهمان : اوراق البردى العربية ومنها المحفوظة بدار الكتب ، القاها فى قاعة الجمعية الجغرافية الملكية بالقاهرة فى مساء ١٥ أبريل سنة ١٩٣٠م ، تعريب الاستاذ توفيق اسكاروس ، رئيس القسم الافرنجى بدار الكتب مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٣٠م ، انظر المحاضرة الثانية ص ١١ـ٢٢ .

وقد عثـــر على هذه المجموعة حين كان بعض العمال يحفرون في سنة ١٩٠١م ، أساس منزل في قرية كوم اشقاو . وفجأة ظهرت امامهم فجوة في الارض مليئة بأكـــداس من لفائف البردى ، ومغطاة بقطعة من الحصير . وبعد بضعة اسابيع من اكتشـاف كنز كوم اشقاو ، ظهرت لدى أحد تجار الآثار والعاديات في القاهرة مجموعة كبـــيرة مما احتواه هذا الكنز من اوراق البردى ، ثم لم تلبث ان تسربت هذه المجموعـــة الى أوربا حيث استقر القسم الاكبر منها في مكتبة المتحف البريطاني ، وتقاســـم البقية الباقية متحف برلين وموسكو وهيدلبرج ، كما نالت دار الكتب المصرية شطـــرا من هذه الأوراق ، وآل شطر آخر منها الى مكتبة المعهد الشرقي بشيكاغو (١) .

ولقد نشر المستشرق كارل هنريش بيكر برديات كوم اشقاو الموجودة بالمتحـــف البريطاني ، في مجلتي " الدراسات الاشورية " ، و"الاسلام " ، الصادرتين باللغة الالمانية (٢) ، ملحقا لنشرهم بدراسات تاريخية مرتبطة بهذه البرديات (٣) .

في حـــين نشر الاستاذ هـ . ادريس بل ايضا ترجمة لاوراق البردى اليونانيـــة من حفائر كوم اشقاو المحفوظة بالمتحف البريطاني أيضا ، بعد أن ترجمها الـــى

---

(١) عن القصة الكاملة لاكتشاف مجموعة بردى كوم اشقاو الخاصة بالوالي قرة بـــن شريك ، وتفرق هذه المجموعة في مكتبات اوربا ، وشراء دار الكتـــب المصرية لبعضها انظر

Grohmann A.: From the world of Arabic Papyri (Cairo 1952) PP. 216-218.

(2) Becher, C. H: 1-Arabische Papyri des Aph roditofundes ZA, 20, (1907), PP. 68-104. 2- Das lateinische in den arabischen Papyrusprotokollen. ZA, 22, (1909), PP. 166-193. 3- Neue arabische Papyri des Aphroditofund Der Islam 2,(1911) PP. 245-268.

(3) Becher, C. H.: Historische Studien Vbar das Londonner Apfhroditowerk. Der Islam 2 (1911). PP. 359-371.

اللغة الانجليزية وذلك في مجلة الاسلام ، منذ سنة ١٩١١ م الى سنة ١٩٢٨م (١) ، وقد حفزه نشر هذه البرديات الخاصة بالوالي الاموي قرة بن شريك ، الى كتابة دراسة عن ادارة مصر تحت حكم الخلفاء الامويين (٢) اشاد فيها بعدالة هذه الادارة ، كما تجلت في ضوء البرديات .

اما مجموعة بردى كوم اشقاو التى آلت الى مكتبة هيدلبرج بالمانيا ، فقد تولى نشرها كارل هنريش بيكر (٣) كما نشر أيضا مجموعة بردى كوم اشقاو التى آلت الى مكتبة متحف برلين (٤) .

وبالنسبة لبرديات كوم اشقاو التى آلت الى متحف موسكو ، فقد تولى نشرها بترجرنستات (٥) في حين تولت الباحثة نبيهة عبود نشر برديات كوم اشقاو التى آلت الى المعهد الشرقي بشيكاغو بالولايات المتحدة الامريكية في كتابها عن برديات قرة ، الذى قدمت فيه دراسة مستوفاة عن هذا الوالي وحكمه في ضوء البرديات وضوء المصادر العربية ، اكدت فيه ماسبق أن أكده من قبل كل من

---

(1) Bell: H.:I: Translations of the greck Aphroditopapyri In the British museum (Der Islam, II, (1911), pp. 269-83 and 372-84; III, (1912), pp. 132-40 and 369-73; iv, (1913) PP. 87-96; and XVII, (1928), pp. 4-8.

(2) Bell. H. I: the administration of Egypt under the Umayyad Khalifs((Byzantinische zeitschrift XXVIII, (1928), pp. 278-286.

(3) Becker, C.H.: Papyri Schott- Reinhardt, I, (Heidelberg, 1906).

(4) Bell, H.I: The Berlin Kurrah Papyrus (publ. by C.H. Becker) In ZA, 22, (1909-13) pp. 189-191.

(5) P. Jernstedt: 1-Die Kome-Aphrodito Papyri der Sammlung lichacove. (review in JEA, XIII (1927), PP. 269-271.
2- Papyri Russicher und georgischer Sammlungen (P. Rossgcorg.) hg.V. Gregor Ieretelli, IV, Die Kome-Aphrodito Papyri der Sammlung licacov, bearb. V. P. Jernstedt. Tiflis, 1927.

كارل هنريش بيكر وهـ. ادريس بل عن عدالة الحكم الاموى لمصر ، كما تجلت فى برديات قرة ابن شريك (١)

وكانت برديات دار الكتب من وجيدت كوم اشقاو ، من نصيب ادولف جروهمان ، اذ نشرها فى الجزء الذى خصصه للبرديات الادارية من مجموعة دار الكتب المصرية (٢) وقد قسم جروهمان هذه الوثائق على النحوالتالى :

١ـ كتب مرسلة من الوالى الى بجركوس (صاحب الكورة) وصنفها تحت رقم ١٤٦ الى ١٥٩ .

٢ـ كتب ووثائق مرسلة من الوالى الى دافعى الضرائب (أوامر خاصة بالدفع) رقم ١٦٠ ـ ١٦٣ .

٣ـ كتب ووثائق مرسلة من صاحب الكورة ومن يليه من الموظفين الى الوالى من رقم ١٦٤ـ١٦٦) (٣) .

وأدى نشر ودراسة هؤلاء المستشرقين لبرديات وجيدة كوم اشقاو الخاصة بالوالى قرة بن شريك ، الى تأكيد هؤلاء المستشرقين لحقيقة تاريخية هامة شوهها مؤرخو أهل الذمة المصريين ، تلك الحقيقة هى عدالة الحكم الاسلامى فى العصر الاموى وتسامحه تجاه اهل الذمة بمصر . على عكس ما ادعاه الاسقف ساويرس بن المقفع ، وهو مسيحى يعقوبى شغل منصب اسقف فى

---

(١) Nabia Abbott: the Kurrah Papyri from Aphrodito in the Oriental Tnstitute. Chicago, 1938.

(٢) انظر ادولف جروهمان : اوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ، ترجمة حسن ابراهيم مراجعة عبد الحميد حسن ، السفر الثالث ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٦٢م.

(٣) انظر نفس المرجع ، ٣ :ص١ـ٦٤ .

كنيسة الاشمونين نحو عام ٣٧٥هـ/٩٨٥م وفي كتابه : "سيرآباء الكنيسة القبطية" وهو كتاب في الحقيقة ملىء بالوقائع المزورة والاكاذيب الفاضحة ، ولذا طعن في صحيفة كثير من العلماء في الشرق والغرب (١) . فضلا عن أنه أرخ لعصر الخلفاء الراشدين والعصر الاموى رغم تأخره عن هذين العصرين بقرنين من الزمان ، دون أن يذكر مصدرا واحدا نقل عنه ، ودون أن يسند خبرا واحدا بأى سند من الاسانيد المتصلة عن الرواة الى عصر الحدث التاريخى، شأن مؤرخى مصر الاسلامية السابقين عليه ، والذين وصلتنا مؤلفاتهم عن تاريخ مصر الاسلامية ، على نحو ما فعل ابن عبد الحكيم في كتابه فتوح مصر وأخبارها والكندى في كتابيه كتاب الولاة وكتاب القضاه .

فهذين المؤرخين ابن عبد الحكم والكندى ، لم يوردا أى خبر خلوا من اسناد متصل بشاهد عيان ، ومعلوماتهما تناقض افتراءات ساويرس بن المقفع .

وجاء طعن المستشرقين في كتاب " سير الآباء البطاركة ، " لساويرس بن المقفع " بعد نشرهم لبرديات كوم اشقاو الخاصة بالوالي الاموى قرة بن شريك، فحذر المستشرق هـ . ادريس بل، وهو الذى توفر على دراسة مجموعة المتحف البريطاني اليونانية من برديات قرة من الثقة الكبيرة في المصادر القبطية، حيث ان التعصب الدينى قد لعب دورا كبيرا ، وذكر لنا مثلا من الأخطاء التى وقعت فيها المراجع القبطية ، وكشفت عنه أوراق البردى (٢) . وممن تشكك أيضا في كتابات ساويرس بن المقفع ، ورأى ضرورة التثبت منها نبيهة عبود ، مؤلفة

---

(١) انظر H.Bell: The Administration of Egypt under the umayyad Khalifs P. 284.

(٢) أحمد مختار عمر : تاريخ اللغة العربية في مصر ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠ م ص ٢٢ ـ ٢٣ .

كتاب " برديات قرة" اذ قالت ما معناه : " ان معظم المراجع التى تمدنا بمعلومات عن الأمويين ونظام حكمهم ، كتبها اناس اعداء لهم ، مثل العباسيين والمسيحيين من أمثال ساويرس بن المقفع"(١)

والطريف حقا ان المصادر العربية الاسلامية ، تكاد تجمع أن قرة بن شريك كان من الولاة الذين اشتهروا بالجور والشدة ، ووصفته هذه المصادر بأنه كان " اعرابيا جلفا حافيا بل ان الخليفة الاموى العادل عمربن عبد العزيز الذى اجمع فقهاء ومؤرخو الاسلام على اعتباره خامس الخلفاء الراشدين ، ذكر عند توليته الخلافة ، ولاة الأمصار ايام خلافة الوليد بن عبد الملك ، فوصفهم جميعا ووصف خليفتهم نفسه بالجور . قال عمر بن عبد العزيز " الوليد بالشام ، والحجاج بالعراق ، ومحمد بن يوسف باليمن ، وعثمان بن حيان بالحجاز وقرة بن شريك بمصر ، ويزيد بن أبى مسلم بالمغرب ، امتلأت الارض والله جورا "(٢).

وعلى النقيض من اتهام المصادر العربية للوالى قرة بن شريك بالشدة والعسف والظلم انتهى دارسو برديات كوم اشقاو الخاصة بهذا الوالى الى تقرير : " ان أوراق البردى التى فى كوم اشقاو ، ..... توضح أن قرة بن شريك لم يكن ظالما ، بل عادلا ، وليس سيء التدبير ، وانما هو مثال للحاكم القدير ، الحريص على سير الادارة سيرا حسنا وسليما فتبين اوراق البردى عطف قرة على افراد الشعب صغيرا كان أم كبيرا ، واشرافه الدقيق على سلوك كبار الموظفين ، ومعاقبة المسيء منهم بأشد الوان العقاب .. ويبدو ان اشتداد قرة فى ادارته

---

(١) Nabia Abbott: The Kurrah Papyri. P. 57.

(٢) عبد الله بن عبد الحكم : سير عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك ابن انس وأصحابه ، تحقيق احمد عبيد ، عالم الكتب ، الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م ص ١٣٣ ، س ٢ .

(٣) نفس المصدر ص ١٤٦ .

هو الأمر الذى أثار حوله الاتهامات التى رددتها المراجع التاريخية.(١)

ولقد ذهب بعض المؤرخين المحدثين الى أن مؤرخى العصر العباسى وما بعده ، هم الذين رموا قرة بن شريك بالظلم ، وهم الذين أتوا بالقول المنسوب الى الخليفة عمر بن عبد العزيز ونحلوه اليه مستغلين اخماد قرة بن شريك بالعنف لعصيان فرقة الخوارج بالاسكندرية فى ولايته ، وهى احدى الفرق الاسلامية المعادية للدولة الاموية. وقد يكون اخضاع قرة العنيف لعصيان فرقة الخوارج سببا لاشتهاره بالشدة والعنف ، ولكن الراجح عندى أن اتهام الخليفة عمر بن عبد العزيز له بالجور ، لاسبيل الى الشك فيه ، لأن أقدم من أورده هو المؤرخ المصرى القديم عبد الله بن عبد الحكم فى كتابه سيرة عمر بن عبد العزيز وهو كتاب مسند الروايات . ومؤلفه من العلماء بالحديث والفقه الى جانب اهتمامه بالتاريخ .

ومع ذلك فنحن نلاحظ فى نفس الوقت أن هذا الاتهام من عمر بن عبد العزيز ، لم يكن موجها لقرة كشخص او كوالى ، ولكن كان موجها لعهد كامل من عهود الخلافة الاموية وهو عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، ولجميع ولاة الامصار فى عصر هذا الخليفة دون استثناء . وكان تحامل عمر بن عبد العزيز على هؤلاء ممن تولوا ولاية الامصار فى عهد الخليفة الوليد ، انهم تولوا هذه الولايات فى نفس الوقت تقريبا الذى تولى فيه عمر بن عبد العزيز نفسه ولاية المدينة المنورة ، لابن عمه الخليفة الوليد ، قبل أن يتولى عمر خلافة المسلمين(٢) ولما كان عمر بن عبد العزيز قد عرف عنه الزهد والورع والمثالية فى أعلى صورتها ومعانيها الامر الذى حدا بالمؤرخين الى اعتباره خامس الخلفاء الراشدين . فطبيعى ان يرى عمر بن عبد العزيز

---

(١) ابراهيم أحمد العدوى : ولاية قرة بن شريك على مصر فى ضوء أوراق البردى المجلة التاريخية المصرية ، سنة ١٩٦٣ م ، ص ٤٩ـ٥١ .

(٢) انظر اسماء ولاة الخليفة الوليد بن عبد الملك على الأمصار الذين عاصروا ولاية عمر بن عبد العزيز للوليد على المدينة عند الطبرى : تاريخ الرسل ٦ : ٤٤٧ و ٤٩١ ، وكان منهم قرة بن شريك بمصر .

فى سيرة الخليفة الوليد وسيرة ولاته على الأمصار. "جور" لبعد سياستهم عن "المثالية" التى تحراها عمر بن عبد العزيز فى حياته الخاصة . وولايته وخلافته للمسلمين .

ومن ناحية أخرى ، ذكر المؤرخون ان عمر بن عبد العزيز حين ولى الخلافة سنة ٩٩ هـ أنكر أعمال اهل بيته من بنى أمية ، لعدم التزامها بالمثالية ، وسماها "مظالم" وعزل ولاة بنى أمية قبله ، وولى مكانهم ولاة عرفوا بالصلاح ، فسلك عماله طريقته (١) وكتب الى ولاته الجدد على الأمصار ، يصف حال الناس فى أيام ولاة بنى أمية قبله بقوله : "ان الناس قد أصابهم بلاء وشدة وجور فى أحكام الله ، وسنن سيئة سنتها عليهم عمال السوء قلما قصدوا قصد الحق والرفق والاحسان" (٢) وأمر الخطباء فى المساجد الجامعة ، أن يخطبوا خطبة الجمعة بالآية القرآنية القائلة : (أن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى (٣) وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى (٤)) ، فاستعمل الناس ذلك فى الخطبة بعده واستمر الى يومنا هذا.

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة الطبعة الثانية ١٣٦٧هـ—١٩٤٨م/ ٣ : ١٩٣—١٩٤ وعن اختيار عمر بن عبد العزيز لواليه على مصر بعد استشارة عقلاء اهلها ليدلوه على أفضل اهل الصلاح بمصر ليوليه ولاتها انظرا الكندى : كتاب الولاة ، ص ٦٧—٦٨ ترجمة ايوب بن شرحبيل والى عمر بن عبد العزيز على مصر ، كما اختار أهل مصر احد صلحاؤهم قاضيا عليهم وهو ابن خزامة الصنعانى وكان عمر بن عبد العزيز قد لمس من قبل عدله وصلاحه انظر الكندى : كتاب القضاة ص٣٣٧—٣٣٨.

(٢) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، طبعة النجف ١٣٥٨ ، هـ ، ٣ : ٤٨

(٣) الآية ٩٠ من سورة النحل .

(٤) المسعودى : مروج الذهب ٣ : ١٩٣—١٩٤.

وقد روى أهل مصر من التابعين الذين عاصروا عهد عمر بن عبد العزيز ، أنه رضي الله عنه ـ قد بدأ جهوده في رد المظالم ، بلحمته وأهل بيته ، وفسر هذا لهم برغبته في العودة الى سيرة الخلفاء الراشدين ، وتبرأ عما أحدثه بعض خلفاء بني امية من مظالم (١) وكتب عمر كتابا ارسله الى عماله في الآفاق يأمرهم فيه برد المظالم ، وقد أورد ابن عبد الحكم نص هذا الكتاب (٢) كما كتب الى عماله كتابا آخر يحثهم فيه على اتباع ما أمر الله به ، واجتناب مانهى عنه ، وقد أورد بن عبد الحكم ايضا نص هذا الكتاب (٣) ، وظل عمر بن عبد العزيز طوال فترة خلافته القصيرة (٩٩ـ١٠٢هـ) ، يكتب الكتب الفقهية الجامعة لجميع أحكام الاسلام ، ويسيّرها في الآفاق الى عماله على الامصار ويأمرهم فيها بالتزام توجيهاتها ، وقد اورد المؤرخون نصوص هذه الكتب ذات الاهمية الكبيرة في دراسة تاريخ الادارة في الاسلام ، وتاريخ النظم الاسلامية (٤) .

فيفهم اذا من سيرة الخليفة العادل الزاهد عمر بن عبد العزيز ان نقده لسياسة والي مصر قرة بن شريك ، ووصفه لها بالجور ، كان نقدا لسياسة جميع ولاة الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك وان العدل في مفهوم الخليفة عمر بن عبد العزيز هو المثالية المطلقة ، واحياء سنة دولة الخلفاء الراشدين ، التي وصفها مؤرخو الاسلام بقولهم " انها دولة لم تكن من طراز دول الدنيا ، وهي بالأمور النبوية والأحوال الاخروية اشبه والحق في ذلك أن زيها قد كان زى الانبياء ، وهديها هدى الاولياء وفتوحها فتوح الملوك الكبار " (٥) .

والواقع ان ماعاب الخليفة الاموي المصلح الزاهد عمر بن عبد العزيز على خلفاء بني امية وولاتهم ، وهو في الواقع تحول خلفاء بني امية من "المثالية" التي تميز

---

(١) راجع رواية طويلة مسندة بهذا الصدد اوردها الذهبي : تاريخ الاسلام ٤ : ١٧٠ .
(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨١ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٨١ـ٨٢
(٤) انظر نفس المصدر ص ٨٢ـ٨٨ ، وص ٨٨ـ٩١
(٥) انظر ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، طبع / المانيا بتحقيق اهلورد ، سنة ١٨٥٨ـ١٨٦٠م ، ص ٨٨ـ٩٠ .

بها عصر دولة الخلفاء الراشدين وتميز بها المفهوم "الديني" لوظيفة "الخلافة" في الاسلام ، الى الواقعية التي املتها طبيعة "الملك" الدنيوى — وهذا ما أشار اليه مؤرخو الدول والنظم الاسلامية فقد اوضح ابن خلدون ان مفهوم معنى الخلافة في الاسلام ووظيفتها ، مفهوما دينيا ووظيفة دينية ، والغرض من وظيفة الخلافة هو استمرارا لمهمة الانبياء في حمل كافة الناس على الأحكام الشرعية في أحوال دنياهم وآخرتهم ، وأن معنى الخلافة في الاسلام يختلف عن "الملك الطبيعي" وهو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة ، كما يختلف معنى الخلافة في الاسلام عن "الملك السياسي" وهو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية (١) .

ثم اوضح ابن خلدون "أن الخلافة قد انقلبت الى ملك" في عهد خلفاء بني أمية ثم خلفاء بني العباس ، وبقيت معاني الخلافة ، في الالتزام بأحكام الدين ، وتحرى العدل في الحكم (٢) ثم قرر ابن خلدون ان مصالح الناس الدنيوية ، انما تكون اذا كانت بالاحكام الشرعية لانه (أى اللهوشارع بعده أى النبي صلى اللهعليه وسلم) اعلم بهذه المصالح (٣) . فقد صار الملك يندرج تحت الخلافة اذا كان اسلاميا (٤) ويقصد ابن خلدون بوصفه للملك بأنه "اسلامي" اى ملتزم بشريعة الاسلام وأحكامه .

ولقد فسر المؤرخون المحدثون الذين درسوا السياسة المالية لخلفاء بني أمية تغليب هؤلاء الخلفاء منذ عهد معاوية لطبيعة الملك الدنيوى على طبيعة الخلافة الدينية بالفتن والقلاقل التي صاحبت انتقال الخلافة من عهد الخلفاء الراشدين ، الى عهد خلفاء بني امية ، وما واكب ذلك من ظهور الاحزاب السياسية المعارضة للخلافة الاموية واستقطاب هذه الاحزاب السياسية المعارضة لدولة بني امية شعوب البلاد المفتوحة من الموالي المسالمة في بلاد العراق أوفارس ، ومصر وشمال افريقية والمغرب ، وما صاحب كل هذه الفتن من حروب وخسائر وقد علق أحد المؤرخين المحققين المحدثين على هذه الظروف التي واكبت قيام الدولة الاموية بقوله : "..... فسيكون من اولى مهام الدولة الاموية اذن التي ستخلف

---

(١) انظر ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، الطبعة الثالثة بالمطبعة الادبية ببيروت ، سنة ١٩٠٠م ، الفصل الخامس والعشرون ، في معنى الخلافة والامامة

(٢) ابن خلدون : نفس المصدر : ص ٢٠٨ ، الفصل الثامن والعشرون ، في انقلاب الخلافة الى ملك ، وانظر ايضا في هذا الصدد ظواهر انقلاب

دولة الخلفاء الراشدين ، مواجهة هذه الظروف ومعالجة هذه المشاكل . ومن أجل ذلك كان لابد ان تتحول الدولة من "المثالية" الى "الواقعية" . ولابد ان نأخذ الأمور بالحزم وتحل الصعاب بالسياسة ، ولو خالفت في ذلك بعض المثل الدينية"(١)

سوف نتخير الآن من برديات قرة بن شريك ، التي عثر عليها في كوم اشقاو ، او في هذه البرديات واطولها لكونها اكثر دلالة على عدالة الحكم الاسلامي وتسامحه ، مركزين بصفة خاصة على البرديات التي تناولت نظام نظر المظالم(٢) وهو ما يساوى اليوم نظام القضاء الادارى(٣) الذى كان يباشره في العصر الاسلامي الوالى او الامام ، للنظر في المظالم التي يعجز عن الحسم فيها القاضي بسلطاته المحدودة ، خاصة وان اغلب هذه المظالم كانت تتعلق باهل الذمة الساكنين في اقاليم ومدن وقرى

= = الخلافة الى ملك منذ عهد معاوية بن ابي سفيان اول خلفاء بني امية ، ابن الطقطقي : المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

(٣) ابن خلدون : المصدر السابق ص ٢١٨—٢١٩ ، الفصل الحادى والثلاثين في الخطط الدينية الخلافية .

(٤) انظر شرح هذا عند ابن خلدون ، في نفس الفصل السابق .

(١) محمد ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، الطبعة الثانية مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦١م ، ص ١٧٨ . وانظر دراسة عميقة ودقيقة وممحصة عن عدالة النظم المالية في العصر الاموى ، ص ١٨٣—٢٦٢ .

(٢) عنه انظر الماوردى : الاحكام السلطانية ، طبع مطبعة الوطن بمصر ، سنة ١٢٩٨هـ ، ص ٧٣—٩٢ .

(٣) انظر عبد الفتاح حسن : القضاء الادارى في الاسلام ، المحاضرات العامة للموسم الثقافي الثاني (الدورة الاولى) ١٣٧٩—١٩٦٠ م مطبعة الادارة العامة للثقافة الاسلامية بالازهر ص ٢٣٧—٢٦٩ .

الديار المصرية (١). ونظام نظر المظالم اخذت به النظم الكبرى قبل ظهور الاسلام ، بهدف اقرار العدل بين الرعية ، وقبل (٢) ان أول من ابتكره ملوك الفرس الساسانين (٣). اما في الاسلام فأول من نظر المظالم النبي صلى الله عليه وسلم ، والمقصود برد المظالم ، هو الالتجاء الى القوة والرهبة لرد المظالم وحماية المظلوم فيقول الموارد ى : " نظر المظالم ، هو قود المتظالمين الى التناصف بالرهبة ، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة " (٤).

وأطول هذه البرديات الخاصة بقرة التي توضح عدالة الحكم الاسلامي . بدلالة واضحة : هي الطراز المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٣٤١ مؤرخ شوال سنة ٩١ هـ. ونص هذه الوثيقة البردية هو :

" (..) ما تجمع من هذه الابواب ، فاني ان اجد عندك الذى أريد من الاجر وحسن الجلب احسن اليك واصيبك بمعروف وأشد ذلك امرك وعملك وأنا ارجو ان شاء الله ان يكون كذلك وان أجد عملك على خير ذلك فانما يجزى المرء بعمله ثم لا تلم الا نفسك ولا تتحزن بعد الذى سميت لك من الأجل ولا اعرفن ماعجزت ولا قصرت ولا قدمت الى وخلفك من المال شاى فانه والله لا يفعل ذلك أحد الا عرف حين يقدم على انه بئس ما صنع وبئس ما عمل وانى لا أحب ان يرى احد في عملك شاى يكرهه من حجز ولا تأخير ولا ابطاء (أ) فاني قد بعثتك حين بعثتك على عملك وانا ارجو ان تكون عندك امانة واجرا وتنفيذا للعمل فكن عند احسن ظني بك فاني والله لان تكون محسنا مجملا امينا موقرا ، احب الي وأعجب عندى من أن تكون على غير ذلك لا تعيبن نفسك ولا تسيئن عملك واستعن بالله ، فانه من ينفذ الاصلاح ويرأى (ب) الامانة يعنه الله ويصلح له عمله ثم اقدم على بكل كتاب ترى اني سائل عنه من عمل ارضك وكتابها والسلام على من اتبع الهدى وكتب

---

(١) انظر ابن منجب السيرافي : قانون ديوان الرسائل ، تحقيق على بهجت ، الطبعة الاولى بمصر سنة ١٩٠٥م ص ١٥٠ـ١٥١.
(٢) الماوردى : المصدر السابق ص ٧٤ـ٧٥
(٣) نفس المصدر ص ٧٤.
(٤) نفس المصدر : ص ٧٣.

عمـــير في شوال من سنة احدى وتسعين "(١)

اما البرديات التي يتضح منها نظر والي مصر الاموي قرة بن شريك بنفسه للمظالم ، وأمره ولاته على الاقاليم بالتحقيق في هذه المظالم والرقاع التي رفعت اليه بالقسطـــاط ، كل في مجال سلطته الادارية في الاقليم الذي يشرف عليه . فاهمها البرديـــات الاتيـــه :

١- البردية المحفوظة بالمعهد الشرقي بشيكاغو بالولايات المتحدة الامريكيـــة برقم 13756 ومؤرخة بتاريخ سنة ٩١ هـ . وهذا نصها :

الوجـــه

" بسم الله الرحمن الرحيم قرة بن شريك الى صاحب اشقوه فاني احمـــد الله الذي لا اله الا هو فان ابشاره بن ابنيلة قد أخبرني انه علـــى انباط من أهل كورتك ( ) عشر دينرا فزعم انهم غلبوه علـــى حقه واذا جاك كتبي هذا واقام البينة على ما اخبرني فاستخرج لـــه ولا تظلمن عبدك الا ان بيناته غير ذلك فاكتب الي والسلم على من اتبـــع الهدى وكتب مسلم بن لبنن ونسخ الصلت في صفر سنة احدى وتسعين .

الظهـــر

" من قرة بن شريك الى بسيل في ابشادة بن ابنيلة في نبطي ( )"(٢)

---

(١) نشر هذه البردية بيكر انظر
C.H. Becker: Neue arabische Papyri des Aphrodit of undes. Der Islam, BondII, Strasburg, 1911, P. 247-248.
ثم نشرها جروهمان في تابه : اوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخر ، السفر الثالث ، مطبعة دار الكتـــب المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٣-٥ .
قرأها بيكر " ولا أبطل " ووافقه جروهمان ويراى ، ولعل الصواب ويراعي .
(أ) قرأها بيكر "ولا أبطل" ، ووافقه جروهمان ، والصواب ما اثبتناه .
(ب) كذا قرأها بيكر في حين قرأها جروهمان ويراى ، ولعل الصواب" ويراعي" .

(٢) نشرت هذه البردية نبيهة عبود . انظر
Nabia Abbott: The Kurrah Papyri, P. 47-48.

٢ـ البردية التي نشرها بيكر برقم
وهي المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٣٣٧ ومؤرخة بشهر صفر سنة ٩١هـ
هذا نصها : " ( ) احمد الله الذى لا اله الا هو اما بعد
فان مرقس بن جريح اخبرني بأنه كان يسئل نبطيا من اهل كورتك ثلثه
وعشرين دنيرا وثلث دينر فيزعم ان النبطى مات وأنه اخذ ماله نبطى
من أهل قريته وغلبه على حقه . فاذا جاءك كتبى هذا فان اقام البينة
على ما أخبرني فانظر من أخذ ماله فعله دينه ولا يظلمن عبدك الا أن يكون
شأنه غير ذلك فتكتب الى به ولا تكتب الا بحق والسلم على من اتبع
الهدى .
وكتب مسلم بن لبنن ونسخ الصلت في صفر سنة احدى وتسعين "(١)

٣ـ البردية المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٣٣٧ ومؤرخة في شهر صفر
سنة ٩١ هـ " بسم الله الرحمن الرحيم من قرة بن شريك الى بسيل
صاحب اشقوه فاني احمد الله الذى لا اله الا هو اما بعد فان بقطر
بن حمول اخبرني أن له أحد ( ) عشر دينرا على نبطى من أهل
كورتك فيزعم انه غلبه على حقه فاذا جاءك كتبى هذا فان اقام البينة
على ما أخبرني فاستخرج له حقه ولا يظلمن عبدك الا أن له شأن غير ذلك
فاكتب الى به والسلام على من اتبع الهدى وكتب مسلم بن لبنن ونسخ
الصلت في صفر سنة احدى وتسعين "(٢)

فهذه البرديات الثلاث الأخيرات، يلقين اضواء على نظام نظر المظالم
في العصر الاموى . ويستخلص منه ان اقباط مصر الذين بقى بعضهم على النصرانية
ولم يدخلوا الاسلام . وظلوا يعيشون في مدن وقرى الديار المصرية كأهل ذمة
للمسلمين ويعملون بالزراعة . كانت تقع بينهم بعض تظلمات بسبب الديون والمعاملات

---

(١) نشر هذه البردية بيكر في
Becker: Neue arabische Papyri des Aphroditofundes,
Der Islam BandII, Strasburg, 1911, P. 260.
كما اعاد نشرها جروهمان في كتابه : اوراق البردية العربية بدار الكتب
المصرية ، السفر الثالث، ص ٣٠ـ٣١ .

(٢) نشر هذه البردية بيكر في نفس المقال السابق ، ص ٢٦٢ـ٢٦٣ ، واعاد نشرها
جروهمان في نفس المرجع السابق ص ٣٢ـ٣٤ .

التجارية . فكان المظلوم منهم يذهب الى الفسطاط او يتظلم لوالي مصر ، فكان والي مصر يرسل الى واليه على الاقليم التابع له المتخاصمين يأمره بتحقيق موضوع الشكوى ، واخذ حق المظلوم من المظالم اذا أقام البينة وكلمة "النبطي" التي تكررت في البرديات الثلاث، تفيد معنى "الفلاح" . وقد أكدت هذه البرديات تحري قرة بن شريك للعدل والحق على أساس " اقامة البينة أخذا بالمبدأ الاسلامي للقضاء " البينة على من ادعى واليمين على من أنكر " ، وهو المبدأ الذي طبقه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب .

ومظاهر عدالة الحكم الاسلامي بمصر وتسامحه الديني تتجلى في جميع برديات قرة بن شريك. وسوف نستشهد بها في موضعها المناسب من هذا المقال ان شاء الله . فيتضح من هذا اذا اهمية وجيدة البرديات بكوم اشقاو ، الخاصة بالوالي الأموي قرة بن شريك في تأكيد عدالة الحكم الاسلامي في العصر الاموي ، في عهد اشتهر عن واليه الجور والشدة ، فما بالك ببقية العصور التي حكمها ولاة عرف عنهم اللين والعدل والاحسان مثل الولاة في عهد الخليفة الاموي العادل عمر بن عبد العزيز ؟ واذا كان المستشرقون الذين درسوا برديات قرة بن شريك قد اعترفوا بعدالة الحكم الأموي ، وهو العصر الذي طالما انهم الرعيل الأول من المستشرقين خلفاءه بأنهم كانوا متعصبين ضد الموالي ، وانهم كانوا يستغلونهم ، واضطهدوهم واحتقروهم (١) نقول اذا كان المستشرقون انفسهم قد اعترفوا بعدالة الحكم الاموي من واقع برديات قرة بن شريك ، ودحضوا اراء الرعيل الاول من المستشرقين في التشكيك في عدالة

---

(١) اخرج الامام البخاري في صحيحه بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده . وقيصر ليهلكن ثم لا يكون قيصر بعده . ولتقسمن كنوزها في سبيل الله .
انظر صحيح البخاري كتاب الجهاد ، وانظر بن حجر فتح : الباري في شرح صحيح البخاري ٦ : ٤٩٨ . وقد اخرج الامام الشافعي بسنده ايضا هذا الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه ، وشرحه شرحا مستوفيا في ضوء حركة الفتوحات الاسلامية انظر الشافعي : كتاب الام ، طبعة بولاق سنة ١٣٢١هـ ، ج ٤ ، ص ٩٣ـ٩٤) .

الحكم الاموى ، فناهيك اذا عن عدالة الحكم الاسلامى بمصر فى عصر الخلفاء الراشدين . وهو أمر ايضا اكدته لنا اوراق البردى العربية التى وصلتنا عن عصر الخليفة عمر بن الخطاب ، ومن فترة الفتح الاسلامى لمصر سنة ٢٢ هـ . واعترف به المستشرق ادولف جروهمان عند دراسته لبعض البرديات العربية التى وصلتنا من فترة الفتح العربى لمصر وسيرد فيما يلى من مقالنا هذا دراسة هذه البرديات المتعلقة بالفتح الاسلامى لمصر .

(جاءت الحقائق التاريخية التى قدمتها اوراق البردى العربية مصداقا للأحاديث النبوية الصحيحة التى تنبأ فيها النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين بفتح مصر . وأوصاهم بالقبط خيرا) :

كان النبى صلى الله عليه وسلم قد بشر المسلمين وهم لا يزالون فى مستهل قيام دولتهم بفتح بلاد مملكتى الروم والفرس ، وهى بلاد الشام ومصر والعراق وفارس "(١) . وهو أمر نوه به القرآن(٢) ، رصدته كتب الفتوحات

---

(١) اخرج الامام البخارى فى صحيحه بسنده عن ابى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : " هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده . وقيصر ليهلكن ثم لا يكون قيصر بعده . ولتقسمن كنوزهما فى سبيل الله " .
انظر صحيح البخارى كتاب الجهاد ، وانظر بن حجر فتح الباري فى شرح صحيح البخارى ٦ : ٤٩٨ . وقد اخرج الامام الشافعى بسنده ايضا هذا الحديث عن ابى هريرة رضى الله عنه ، وشرحه شرحا مستوفيا فى ضوء حركة الفتوحات الاسلامية انظر الشافعى : كتابى الأم ، طبعة بولاق سنة ١٣٢١هـ ، ج ٤ ، ص ٩٣-٩٤) .

(٢) انظر الآيات ١٨-٢١ من سورة الفتح ، والآية ٢٧ من سورة الاحزاب ، والآية ٣٣ من سورة التوبة ، والآية ٢٨ من سورة الفتح ، والآية ٩ من سورة الصف ، والآية ٥٥ من سورة النور ، والآيات ٣٩-٤١ من سورة الحج .

الاسلامية ودللت عليه كما رصدته ايضا كتب الخراج والأموال في الاسلام.(١) (٢)

ووصى النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين قبل بداية حركة الفتوحات الاسلامية التي تمت في عهد خلفائه الراشدين - بأهل الكتاب من اهل البلاد المفتوحة خيرا ، رغم بقائهم على دينهم . وأمرهم بعدم ظلم هؤلاء المعاهدين لدخولهم

---

(١) اخرج البلاذري بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في تفسير قوله تعالى : "وأثابهم فتحا قريبا) (سورة الفتح الآية ١٨) قال : خيبر (وأخرى لم تقدروا عليها قد احاطالله بها وكان الله على كل شيء قديرا) (سورة الفتح الآية ٢١) قال : فارس الروم. (البلاذري فتوح البلدان . ج ١ ،ص ٢٧ ، خبر ٨٥ ، وانظرايضا يحي بن آدم : كتاب الخراج ،ص ٣٥٣، رقم ٨٨. وأخرج السيوطي بسنده في كتابه الدر المنثور في التفسير طبع مصر ١٣١٤ هـ عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى : (وأخرى لم تقدروا عليها) قال : هذه الفتوح التي تفتح الى اليوم ، وانظر ايضا يحي بن آدم : كتاب الخراج ، ص٣٣، رقم ٨٣.

(٢) اخرج يحيى بن آدم بسنده عن عكرمة . في تفسير قوله عزوجل (وأورثكم ارضهم وديارهم وأموالهم وارضا لم تطئوها) (الآية ٢٧ من سورة الاحزاب) قال : ما ظهر عليه المسلمون الى يوم القيامة (يحي بن آدم: كتاب الخراج ، ص٣٢ ، رقم ٧٨) ، كذلك شرح أبو عبيد القاسم بن سلام آية الغنيمة في القرآن (انظر الآية ٤١ من سورة الانفال) وآية الفيء في القرآن (انظر الآية ٦ ، ٧ ، ٨ ... الخ من سورة الحشر) ثم روى ابو عبيد بسنده عن عبد الله ابن مسعود انه قال :والله الذي لا اله غيره ، لقد قسم الله هذا الفيء قبل ان تفتتح فارس والروم . وعلق ابو عبيد بقوله : ونرى عبد الله انما تأول الآية التي تأولها عمر في قوله (والذين جاءوا من بعدهم) قال ابو عبيد : هذه السورة نزلت بالمدينة بعد القتال - يعني الحشر - وهذه قوة لعمر في الفيء ، لان فارس والروم انما افتتحنا بعد النبي صلى الله عليه وسلم فجعل الله عز وجل فيها لمن يجيء بعده ، قبل أن يأتوا ، وقبل ان تفتتحا (كتاب الاموال ، تحقيق محمد حامد الفقي ، سنة ١٣٥٣هـ ، ص ١٥-١٦) .

فى ذمة المسلمين وصيرورتهم أهل ذمة للمسلمين ، وعدم تكليفهم فوق طاقتهم.(١) فقد روت كتب السنن النبوية المعتمدة كسنن ابى داود(٢) وكتب الخراج والاموال ، وكتب الفتوحات الاسلامية(٣) يسندها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من ظلم معاهدا اوكلفه فوق طاقته ، فأنا حجيجه الى يوم القيامة ".

— وقد الزم الخلفاء الراشدين أنفسهم — بعد تمام حركة الفتوحات الاسلامية فى عهدهم — بوصية النبى صلى الله عليه وسلم بأهل الذمة ، وأوصوا بها خلفاء الاسلام من بعدهم . فقد روى الامام البخارى فى صحيحه ، وأخرجت كتب الخراج بسندها ، عن الخليفة عمر بن الخطاب الذى تمت فى عهده أغلب الفتوحات الاسلامية انه قال : "أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيرا ، أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم"(٤) . وقد أوردت كتب الخراج اخبارا صحيحة الاسناد عن عمر بن الخطاب فى أيام خلافته ، توضح تحريه العدل والرفق بأهل الذمة من أهل سواد العراق ، فكان يراجع جباية

---

(١) انظر محمد ابو الطيب شمس الحق العظيم الابادى : عون المعبود فى شرح سنن ابى داود ، طبع الهند ، ١٣٢٣ هـ ، ٣ : ١٣٦ .

(٢) انظر ابو يوسف ت ١٨٢ هـ : كتاب الخراج ، الطبعة الخامسة ١٣٩٦هـ ، المطبعة السلفية ، ص ١٣٥—١٣٦ ، يحى بن آدم : ت ٢٠٣هـ : كتاب الخراج ، تحقيق احمد محمد شاكر ، المطبعة السلفية ، الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ ، ص ٧١ ، حديث رقم ٢٣٥ .

(٣) انظر البلاذرى ت ٢٧٩ هـ : فتوح البلدان ، طبع مصر ، ١٣١٩ هـ ، ص ١٦٩ ، وانظر ايضا محمد بن عبد الله الازدى : تاريخ فتوح الشام تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص ٢٦٤ .

(٤) اخرج هذا الحديث الامام البخارى بسنده فى صحيحه عن عمر بن الخطاب ، كتاب الجهاد باب يقاتل عن أهل الذمة ولا يسترقون . انظر ابن حجر : فتح البارى ، ٦ : ٥٠٩ — ٥١٠ وانظر ايضا عند ابى يوسف : كتاب الخراج ص ١٣٦ ، يحى بن آدم : كتاب الخراج ، ص ٧٠ و ٧١ ، حديث رقم ٢٣٢ و ٢٣٥ .

الجباه ، ليتأكد انهم لم يأخذوا من الخراج الا القدر الشرعي العادل ، وأنهم تركوا عند أهل السواد فضولا وأموالا واشياء تكفل لهم رغد العيش ، وكان يبسط رعايته وعنايته بأرامل اهل سواد العراق من أهل الذمة (١) .

كما اخرجت كتب الخراج ايضا بسندها عن الامام علي بن ابي طالب رابع الخلفاء الراشدين انه كان ابان خلافته يوصي جابيه على الخراج ان يأخذ من أهل الذمة " العفو " و " الفضل " اى مازاد عن حاجتهم ، وأن لا يستخدم صوتا عند جباية الخراج ، حتى لو عاد كما ذهب ولم يجب شيئا (٢) . واخرج يحي بن آدم بسنده بطريقتين مختلفتين عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، انهما سئلا : ما في أموال اهل الذمة ؟ فقالا : العفو : يعني الفضل (٣) .

وخص النبي صلى الله عليه وسلم ، حين بشر المسلمين بفتح بلاد مملكتي فارس والروم ، واوصاهم بأهل الذمة خيرا ، خص النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الذمة قبط مصر بوصية خاصة ، لما تربطهم بالعرب من روابط الرحم والمصاهرة (٤) .

---

(١) انظر يحي بن آدم : كتاب الخراج ، ص ٧٢-٧٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٧٠-٧١ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٧٠-٧١ ، خبر ٢٣٤ . والعفو والفضل بمعنى الزيادة عن حاجتهم ، وانظر ايضا احاديث واخبار اخرى في الرفق بأهل الذمة ، نفس المصدر ، ص ٧٢-٧٣ .

(٤) انظر ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، طبع بليدن بهولندا بمطبعة بريل سنة ١٩٢٠ ، بتحقيق شارل توري ، ص ٢-٤ ، فضلا مستقبلا بعنوان : " ذكر وصية رسول الله اصلى الله عليه وسلم بالقبط " ، وانظر الامام مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، " باب وصية النبي صلى الله عليه وسلم باهل مصر " طبعة مطبعة عيسى البابي الحلبي ، سنة ١٣٤٩ ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ ، ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م ، الطبعة الثانية : ١ : ٤-٧ ، السيوطي : حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، طبع بمطبعة الموسوعات بمصر ١٣٢١ هـ ، ص ٤-١٠ ، فصلا مستقلا بعنوان : " ذكر الاحاديث التي ورد فيها ذكر مصر " ، المقريزي : الخطط ، طبع مطبعة النيل بمصر ، ١٣٢٤ هـ ١ : ٣٥-٣٩ ، فصل بعنوان " ذكر طرف من فضائل مصر " ، وانظر الكندي كتاب فضائل مصر مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤٢٢ تاريخ و ٧٥٣ تاريخ .

وكان صلى الله عليه وسلم يعنى بالرحم ، ان هاجر ام اسماعيل (ابو العرب المستعرب به) ابن ابراهيم عليه السلام كانت منهم ، اذ كانت من قرية " أم العرب "(١) وهى قرية كانت تقع امام مدينة الفرما المصرية ، وكان صلى الله عليه وسلم يعنى بالصهر ان مارية القبطية التى تسرى بها النبى صلى الله عليه وسلم وانجبت له ولده ابراهيم الذى توفى طفلا ، وصارت أم ولده صلى الله عليه وسلم كانت ايضا من قبط مصر ، اذ كانت من قرية " حفن "(٢) من كورة او اقليم " أنصنا "(٣) وكان قد

---

(١) حقق محمد رمزى فى كتابه القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، موضع قرية ام العرب ، فأفاد انه بالبحث عن موقع هذه القرية تبين له انها اندثرت ، وكانت واقعة فى الجنوب الشرقى لاطلال مدينة الفرما المندرسة على بعد اربعة كيلومترات منها (محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، القسم الاول ، البلاد المندرسة ، ص ١٢٧) . أما مدينة الفرما فقد حقق محمد رمزى انها اندثرت ، وهى مدينة كانت من أقدم الرباطات المصرية زمن الفراعنة بقرب الحدود الشرقية لمصر ، وتعرف اليوم اثارها بتل الفرما ، على بعد ثلاثة كيلومترات عن ساحل البحر الابيض المتوسط ، وعلى بعد ٢٣ كيلو متر شرقى محطة الطينة الواقعة على السكة الحديد التى بين بورسعيد والاسماعيلية ، ولا تزال اثار قلعتها باقية الى اليوم (نفس المرجع ، ص ٩١ ـ ٩٢) .

(٢) حقق محمد رمزى ان القرية التى سماها العرب حَفْن Hafn هى نفسها المدينة التى عرفت فى العصر الفرعونى باسم " هبنو " Hebnou وكانت قاعدة القسم السادس عشر من اقسام الصعيد ، وقد حقق محمد رمزى ان اطلال مدينة هبنو تقع اليوم شرقى النيل بحوض الكوم الاحمر رقم ١٩ باراضى ناحية المطاهرة البحرية ، وفى النهاية الجنوبية من اراضى ناحية زاوية الاموات بمركز المنيا . (نفس المرجع ، ص ٤٦٩) .

(٣) عرفت فى العصر الفرعونى باسم " بيسا " Bisa وفى العصر الرومانى باسم Antinoé وكان يقال لمدينة انطنويه Enséné او Ancinâ وسماها العرب انصنا ، وكانت قاعدة كورة انصنا ، ويسميها القبط انصله Enselé والعامة يقولون مدينة النصلة . ومكانها اليوم الاطلال الواقعة فى حوض مدينة النصلة (المحرفة عن أنصنا) رقم ١١ بأراضى ناحية الشيخ عبادة الواقعة شرقى النيل بمركز ملوى بمدينة اسيوط (نفس المرجع ، القسم الاول ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ قسم ثان ، جرابع ، ص ٦٣) .

أهداها اليه صلى الله عليه وسلم المقوقس والى مصر الرومانى ، حين كاتبه النبى صلى الله عليه وسلم فى أواخر سنة ٦ هـ ومطلع سنة ٧ هـ ، مع رسوله خاطب ابن ابى بلتعة اللخمى ليدعوه الى الدخول فى الاسلام (١) .

ونستطيع ان نصنف احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ورد فيها الوصية بالقبط الى أربعة أقسام :

١ــ احاديث توصى بالقبط لكونهم سيصبحون اهل ذمة للمسلمين ، بالاضافة الى أن للعرب فى القبط رحما وصهرا ، والمحت هذه الاحاديث الى عدم الاجحاف بقبط مصر ، فى أموالهم واراضيهم بعد فتح مصر .

وأشهر هذه الاحاديث ، هو ما أخرجه الامام مسلم فى صحيحه عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : " انكم ستفتحون مصر ، وهى ارض يسمى فيها القيراط ، فاستوصوا باهلها خيرا ، فان لهم ذمة ورحما . " (٢)

---

(١) انظر ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٤٥ــ٥٣ ، فصلا مستقلا بعنوان " ذكر كتاب رسول الله عليه الصلاة والسلام الى المقوقس " وانظر السيوطى حسن المحاضرة ١ : ٤٧ــ٥١ ، فصلا مستقلا بعنوان " ذكر كتاب سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس " . وقد زاد السيوطى معلومات اخرى عن ما ذكره ابن عبد الحكم اعتمادا على كتب الاحاديث والمسانيد وكتب دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانظر المقريزى : الخطط ، طبع مطبعة النيل بمصر ، ١٣٢٤هـ ، ١ : ص٤٥ــ٤٨ ، فى ذيل فصل مستقل عن فضائل مصر .

(٢) انظر الامام ابو الحسن مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، طبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، سنة ١٣٤٩ هـ ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ــ٣٧٥ ، كتاب المناقب ، باب وصية النبى صلى الله عليه وسلم بآهل مصر . وانظر ايضا ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، باب ذكر الاحاديث ، ترجمة ابى ذر الغفارى ، ص ٢٨٥ ، س٥ــ١١ ، وانظر ايضا المقريزى : الخطط ١ : ٣٨ ، السيوطى : حسن المحاضرة ١ : ٤ــ٥ ، ونص السيوطى على النقل من صحيح مسلم . وقد افاد السيوطى ان هذا الحديث قد اخرجه ايضا محمد بن الربيع الجيزى فى كتاب من دخل مصر من الصحابة ، والبيهقى فى كتابه دلائل النبوة بسندهما عن ابى ذر رضى الله عنه ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٥٧ .

٢- احاديث تتنبأ بمسارعة القبط الى الدخول في الاسلام بعد فتح المسلمين لمصر، وسقوط الجزية عن رؤوس اهل مصر من القبط باسلامهم ، ثم اشتراك من يسلم من القبط مع العرب في تبليغ دعوة الاسلام، الى الشعوب المجاورة للقبط.

واشهر هذه الاحاديث هو ما اخرجه ابو عبيد القاسم ابن سلام بسنده في كتابه الاموال (١) ، عن ابي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (منعت العراق درهمها وقفيزها ، ومنعت الشام دينارها ومديها ، ومنعت مصر دينارها واردبها ، وعدتم كما بدأتم - قالها ثلاث مرات - فشهد بذلك لحم ابي هريرة ودمه) وعلق ابو عبيد على هذا الحديث بقوله : " معناه - والله اعلم - ان هذا كائن ، وانه سيمنع بعد في آخر الزمان " (٢) وأضاف المقريزي الى قول ابي عبيد ، بعد أن نقل عنه هذا الحديث معذوّاً اليه، ونقل عنه أيضا هذا التعليق السالف، قال المقريزي : " فخرج لفظه (صلى الله عليه وسلم) على لفظ الماضي ، لانه ماض في علم الله ، وفي اعلامه بهذا قبل وقوعه ما دل على اثبات نبوته ، ودل على رضاه من عمر (بن الخطاب) رضي الله عنه ما وظفه على الكفرة من الخراج في الامصار " . وفي تفسير المنع وجهان : احدهما انه علم أنهم سيسلمون ويسقط

---

(١) انظر ابو عبيد القاسم بن سلام ، ت ٢٢٤ هـ: كتاب الاموال ، تحقيق محمد حامد الفقي ، القاهرة ١٣٥٣ هـ، ج ١، ص ٧١، خبر رقم ١٨٢ ، وقد أورد ابو عبيد هذا الحديث ، في فصل بعنوان "أرض العنوة تقر في ايدي اهلها ، ويوضع عليها الخراج " وفي هذا ما يفيد ان فتح بلاد الشام والعراق ومصر ، كان من الناحية الشرعية الفقهية عنوة ، ثم اجريت من الناحية الادارية التنفيذية مجرى الصلح . وقد روى هذا الحديث ايضا امام مسلم في صحيحه ، ج ٢، ص ٣٦٥ طبعة بولاق ، ج ٣ ،ص١٧٥ طبعة الاستانة . كما اخرجه ايضا بسنده عن ابي هريرة يحي بن آدم في كتابه الخراج ، ص٦٧ ، خبر ٢٢٧، اول باب الجزية .

(٢) ابو عبيد : كتاب اموال ، ج ١، ص٧١ ، خبر رقم ١٨٢ .

عنهم ما وظف عليهم ، فصاروا مانعين باسلامهم ما وظف عليهم ، يدل عليه قوله " وعدتم من حيث بدأتم " . وقيل معناه انهم يرجعون عن الطاعة ، والأول أحسن "(١)

واخرج ابن عبد الحكم بسنده ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انكم ستقدمون على قوم جعد رؤسهم ، فاستوصوا بهم خيرا ، فانهم قوة لكم ، وبلاغ الى عدوكم باذن الله "(٢) . يعني القبط .

٣- احاديث توصي المسلمين بعد فتحهم لارض مصر ، وظهورهم على أهلها ، باتخاذ الجنود من أهل مصر الذين سيدخلون في الاسلام ، ليكونوا مجاهدين في سبيل الله ونشر دينه في الارضين ، ولقد اشادت هذه الاحاديث بجند مصر ، ووصفتهم بأنهم " خير اجناد الارض " ونوهت الى أن موقع مصر المواجه لديار الحرب شمالا وجنوبا وغربا ، سيجعل اهلها "في رباط الى يوم القيامة" أي مرابطين في الرباطات والثغور البرية المواجهة لدار الحرب ودار الكفر .

وأهم هذه الاحاديث ، هي ما أخرجه ابن عبد الحكم بسنده ، ضمن خطبة عمرو بن العاص(٣) ، التي القاها على منبر الجامع العتيق بالفسطاط - الذي صار يعرف بمسجد عمرو بن العاص - على جنده العربي عند خروجه هو جنده الى ريف مصر للارتباع في فصل الربيع ، اي لعلف خيول الجند . وقد جاء في نص هذه الخطبة على لسان عمرو بن العاص : حدثني امير المؤمنين (يعني عمر بن الخطاب كما افاد

---

(١) المقريزي : الخطط ، ١ : ١٢٢ ، السيوطي : حسن المحاضر . ج ١ ، ص ٦ نقلا عن صحيح مسلم .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٤ ، المقريزي : الخطط ١ : ٣٩ ، السيوطي : حسن المحاضرة ١ : ٥ ، وقد أفاد السيوطي ان هذا الحديث اخرجه أبو يعلى في مسنده ، كما وصف سند ابن عبد الحكم في تخريج هذا الحديث بانه "سند صحيح " .

(٣) انظر ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٣٩-١٤١ ، فصلا بعنوان " خروج عمرو الى الريف " .

السيوطى فى حسن المحاضرة) ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا ، فذلك الجند خير أجناد الارض - فقال ابو بكر : ولم يا رسول الله ؟ قال :لانهم وازواجهم فى رباط الى يوم القيامة "(١) .

والجدير بالالتفات والاهتمام حقا ، ان تاريخ مصر الاسلامية فى عصر الولاة ، وبصفة خاصة فى عصر الخلفاء الراشدين ، وفى اغلب مراحل تاريخ الخلفاء الامويين ثم العباسيين قد جاء فى كثير من نواحيه الايجابية ، سواء بالنسبة لتاريخ الاسلام بصفة عامة ، او بالنسبة لتاريخ الشعب القبطى بصفة خاصة ، مصداقا للاحاديث النبوية الصحيحة التى أوردتها كتب الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم الحديثية عن قبط مصر . فقد دخل عدد كبير من القبط فى الاسلام ، قبل تمام الفتح الاسلامى لمصر وانضموا الى جيوش العرب الفاتحين ، وعاونوهم فى تحقيق الانتصار على الروم . وقد سجل هذا كله القس القبطى يوحنا النقيوسى ، الذى كان شاهد للفتح الاسلامى لمصر ، وذلك فى تاريخه(٢) . وظل دخول القبط فى الاسلام مستمرا مطردا طوال المراحل التاريخية لعصر الولاة ، سواء فى عصر الخلفاء الراشدين ، او فى عصر خلفاء بنى امية ، اوعصر خلفاء بنى العباس .

وقد أكدت احداث التاريخ الاسلامى ومصادره ، وعلى وجه الخصوص اوراق البردى العربية ، صدق جميع ماورد فى هذه الاحاديث النبوية من تنبوءات . كما أكدت التزام خلفاء الاسلام تجاه اهل مصر بوصية النبى صلى الله عليه وسلم . ويتجلى هذا

---

(١) ابن عبد الحكم :نفس المصدر ، ص ١٤١ ، س٥-٧ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ص ٦ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٧ .

(٢) افاد حنا النقيوسى انه منذ دخل العرب مصر وقبل أن يتم فتحها نهائيا اسلم كثير من المصريين وحاربوا المسيحيين بعد اسلامهم . ومن هؤلاء يوحنا احد رهبان دير سيناء انظر :

La chronique de Jean Euéque de Nikiou, Notic e et Esctraits Par. M.H. Zotenberg, Paris Invprimerie Nationale MDCCC LXXIX, Chapitre CXXI,P. 263.

كما افاد حنا النقيوسى ايضا ان المصريين الذين تركوا الدين المسيحى واسلموا ، صحبوا جيوش العرب اثناء الفتح ، انظر

Ibid: P.262-263, P. 264.

الالتزام فى المظاهر الآتية :

١— حسن معاملة العرب للقبط ابان الفتح الاسلامى لمصر ، والطابع الانسانى للفتوحات الاسلامية ، والسلوك الحضارى للفاتحين ، والهدف الدعائى البلاغى من الفتح ، وهو امر أكدته اقدم اوراق البردى العربية التى وصلتنا وهى مؤرخة بسنة ٢٢ هـ ، ابان اتمام الجيوش الاسلامية زحفها الى صعيد مصر لفتح اقليم البهنسا (١) ، عاصمة مصر العليا ، فى العصر البيزنطى المتأخر .

٢— الوضع الشرعى والادارى الذى اجراه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب لمصر واراضيها وكنائسها . ويتضح من دراسة ظروف وأسباب اقرار عمر بن الخطاب لهذا الوضع الشرعى والادارى لمصر ، مراعاة خليفة المسلمين الذى تم فى عهده فتح مصر ، وصية النبى صلى الله عليه وسلم فى القبط ، فرغم ان مصر فتحت فى الواقع عنوة ، الا أن الخليفة قدر أن اهل مصر كانوا فى عداد المغلوبين على أمرهم ، المقهورين تحت حكم الروم ، فأجرى مصر مجرى البلاد التى فتحت بصلح ، فلم يقسم ارضها بين الفاتحين ، ولم يسترق رجالها او يقتلهم ، ولم يسب نساءها واطفالها ، ولم يهدم كنائسها او يحولها الى مساجد شأن حكم بلاد العنوة ، بل أجرى مصر وأهلها مجرى الصلح ، فرد سبى القبط الى قراهم ، ومنح رجال القبط حريتهم المدنية وحقوقهم المدنية والقضائية وحريتهم الدينية ، على أن يدفعوا الجزية ، وهى كالبدل عن تأدية الخدمة العسكرية التى كانت قاصرة على المسلمين لارتباطها فى الاسلام بفريضة الجهاد لنشر دين الله ، وابقى كنائس مصر القديمة ، فى البلاد التى تقاوم الفتح مقاومة حربية او فتحت بصلح ثم لم تنقض عهد المسلمين وتظاهر

---

(١) عن هذه البرديات انظر جروهمان : اوراق البردى لعربية ، المحاضرة الثانية ص ١١—١٢ ، المحاضرة الثالثة ، ص ٣—٦ ، وانظر ما يأتى فى مقالنا هذا عند دراستنا للفتح الاسلامى لمصر فى ضوء البرديات .

الروم على المسلمين ، على حالها ، وجعلها مقامة الشعائر (١) . كما بسط الحماية

---

(١) لاتزال كنائس مصر القديمة التي بنيت قبل الفتح الاسلامي عامرة مقامة الشعائر لم تمس بسوء سواء بعد الفتح العربي ، او طوال عصور مصر الاسلامية ، وبقاء هذه الكنائس الاثرية القديمة على حالها بمصر الى يومنا هذا أقوى دليل اثري ملموس على تسامح الحكومة الاسلامية تجاه اهل الذمة والاقليات الدينية بمصر . ويكفي ان نذكر هنا أن حركة الاسترداد المسيحي Reconquesta بعد استردادها للأندلس هدمت جميع المساجد ، او حولتها الى كنائس ولم تبق بالاندلس مسجدا واحدا ، كذلك فعلت حركة الصليبيات Crusades. عند ما استولت على بيت المقدس ، فقد حولت المساجد ببيت المقدس الى كنائس ، وأبطلت اقامة الشعائر الاسلامية بها ، حتى استردها صلاح الدين الايوبي ، واعاد اليها الشعائر الاسلامية في نفس الوقت الذي حمى فيه صلاح الدين كنائس النصارى ببيت المقدس وعلى رأسها كنيسة القيامة . كما حمى مقدسات اليهود .

عن كنائس مصر القديمة انظر المقريزي : الخطط ، ج ٤ ، ص ٣٤٩-٣٦١ " ذكر كنائس اليهود " وأغلبها كنائس بخط قصر الشمع (بابليون) وبحارة الجودريه بالقاهرة وحارة زويلة بالقاهرة وبعضها قائم الى اليوم .. فضلا عن المعبد اليهودي بمنطقة البساتين وهو قائم الى اليوم وأيضا الخطط . ج ٤ ، ص ٤٠٩-٤٢٣ " ذكر ديارات النصارى " وبعضها ديارات بنيت قبل الاسلام وبعضها استحدث بعد الاسلام وبعد الفتح الاسلامي لمصر وهي بمنطقة مصر القديمة ، والمقطم ، ومنطقة الطور والقصير على ساحل البحر الأحمر . وانظر أيضا الخطط ج ٤ ، ص ٤٢٣-٤٣٧ " ذكر كنائس النصارى " وبعضها قديم قبل الاسلام وبعضها استحدث بعد الاسلام وبعد الفتح الاسلامي لمصر . وانظر كذلك الشابستي : ت سنة ٣٨٨ هـ : كتاب الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، طبع بغداد ١٩٥١م ، ابو صالح الارمني ت ق ٥ هـ : كتاب الكنائس والأديرة ، نشره Evetts سنة ١٨٩٥ ، مرقس سميكة : دليل المتحف القبطي واهم الكنائس والاديرة الاثرية ، مجلدان . المطبعة الأميرية القاهرة ١٩٣٠-١٩٣٢ ، عمر طوسون : وادي النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة ، مذيل بكتاب تاريخ الأديرة البحرية . مطبعة السفير ، الاسكندرية ١٩٣٥م .

الرسمية للكنيسة القبطية وبطريركها ، ولأحباس وأوقاف الكنائس[١] ، واعتبر اراضي مصر اراضي خراجية ، فأبقاها في يد القبط ، على أن يؤدوا عنها الضريبة العقارية السنوية التي عرفت بـ " الخراج "[٢] . وبهذا ضمن الوضع الشرعي والاداري لمصر الذي اجراها عليه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب لقبط مصر ، حقوقهم المدنية والقضائية ، وحريتهم الدينية ، وبقاء كنائسهم ومعابدهم بأيديهم ، وبقاء اراضيهم وأموالهم بأيديهم ، وهو أمر بلغ قمة العدل والتسامح الديني ، لم نسمع بشبيه له في تاريخ الحكام والقواد المنصرين قبل الاسلام وبعده . ولقد ضمن هذا الوضع الشرعي والاداري ، الذي التزم بجوهره جميع خلفاء الاسلام وولاة مصر الاسلامية في عصر الولاة ، ثم ملوكها بعد ظهور الدول الاسلامية المستقلة

---

(١) انظر ساويرس بن المقفع ت أواخر ق ٤ هـ : سير الآباء البطاركة ، الجزء الاول ، والخامس والعاشر من مجموعة Patrologia Orientalis باريس ١٩٠٧ ، ١٩١٠ و ١٩١٥ ، T.I., P. 231-232 وانظر ايضا المقريزي : الخطط ، ٤ : ٣٩٣-٣٩٤ .
La Chronique de Jean, P. 261-262.

(٢) انظر ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، (ذكر من قال ان مصر فتحت بصلح) . ص ٨٤-٨٨ ، و " ذكر من قال فتحت مصر عنوة " عن ٨٨-٩٠ ، و "ذكر الجزية " ص ١٥١-١٥٦ ، وانظر ايضا مناقشات فقهية هامة عن الوضع الشرعي والاداري لمصر بعد الفتح عند ابو عبيد : كتاب الاموال ، ص ٥٥ ، ص ٥٧ رقم ١٤٤ ، وص ٥٨ رقم ١٤٩ ، وص ٦٠-٦١ ، وص ٦٧ ، وص ٨٥ ، وص ٩٣ ، ص ١٠٠-١٠١ ، وص ١٣٥ رقم ٣٦٤ ، وص ١٤٠-١٤٢ ، وص ١٤٤ ، رقم ٣٩٣ ، وص ١٤٦-١٤٧ ، وص ١٦٨-١٦٩ ، ص ١٨٤ ، رقم ٤٩٠ ، وص ٥١٢-٥١٤ وانظر المقريزي : الخطط " ذكر ما عمله المسلمون عند فتح مصر في الخراج ، وما كان من أمر مصر في ذلك مع القبط " ج ١ ، ص ١٢٢-١٢٧ ، و "ذكر دخول النصارى من قبط مصر في طاعة المسلمين وأدائهم الجزية ، واتخاذهم ذمة لهم " ج ٤ ، ص ٣٩٣-٤٠٨ .

بمصر ، ضمن هذا الوضع الشرعي لأهل مصر ، حكما عادلا ، وتسامحا دينيا ، كانا في الواقع من أهم عوامل اسلام القبط واستعرابهم وغلبة الاسلام على أغلب اقاليم ومدن وقرى الديار المصرية ، مع مطلع القرن الثاني الهجري(١).

٣- عدالة النظم المالية الاسلامية ، التي طبقها المسلمون على قبط مصر بعد الفتح والمتمثلة في ضريبتي " الجزية " على الرؤوس ، و"الخراج " على الاراضي الزراعية ، وتأكيد اوراق البردي . لمطابقة مقدار الجباية الرسمية التي جبتها الحكومات الاسلامية لمصر من ضريبتي الجزية والخراج ، لمقدار التقدير الشرعي لهاتين الضريبتين كما حددتهما الشريعة الاسلامية وشرحهما فقهاء الاسلام في كتب الخراج والاموال والاحكام السلطانية . وقد وصلتنا من مجموعة برديات كوم اشقاو ، من عهد ولاية الوالي الاموي قرة ، وثائق يونانية تحتوى على قوائم رسمية تفصيلية ، بأنواع وأبواب الاموال الرسمية الاميرية التي كانت تجبيها الدولة من كورة افروديتوبوليس (كوم اشقاو) . ويتضح من هذه القوائم مطابقة هذه التقديرات الضريبية للقدر الشرعي العادل . وقام بيت المال المركزي الكائن بالفسطاط عاصمة مصر ، بخصم جميع التكاليف الاستثنائية التي طولبت بها كوم اشقاو :(٢)

---

(١) انظر المقريزي : الخطط ج ١ ص ١٢٨-١٣١ " ذكر نزول العرب بريف مصر واتخاذهم الزرع معاشا " وص ١٣١-١٤١ " ذكر قبالات اراضي مصر بعد ما فشا الاسلام في القبط ونزول العرب في القرى .
وانظر ما سيأتي في مقالنا عن مناقشة الوضع الشرعي والاداري لمصر في ضوء البرديات.

(٢) انظر الآن هذه القوائم الضريبية الخاصة بكورة كوم اشقاو ، من عهد الوالي الأموي قرة ، وهي محفوظة بالمتحف البريطاني ، ونشرها Bell بعد أن ترجمها الى الانجليزية
Bell: Translations of the Greek Aphrodito Papyri.....) Der Islam, Band III 1912, P. 133. No. 1412, P. 135.No. 1413, P. 136. No. 1414; Bank III, 1912, P. 369. No. 1433.

وهذه اطول الوثائق واهمها .

مثل تقديم عمال بناء معماريين (١)، وعمال لبناء السفن لدار صناعة جزيرة الروضة (٢)، فخصم ذلك من جملة الخراج المطالب به أهل كورة كوم اشقاو بالتضامن فيما بينهم وفي هذا اشارة الى عدم اعتراف الحكومة الاموية بمبدأ " السخرة " اوالعمل الاجباري ".

٤ـ التسامح الديني لحكومات مصر الاسلامية ، تجاه الكنيسة القبطية وجهازها الاكليروسي ، وتجاه الاقليات الدينية الاخرى بمصر . مثل رهبان دير سانت كاترين الملكانيين بطورسيناء ، وغيرهم . وكانت أجل صور هذا التسامح ، سماح الدولة للاقليات الدينية بمصر بالاحتفال بأعيادهم الدينية . وقد أشارت البرديات ، الى صور عديدة من

---

(١) عن الوثائق الخاصة بتقديم العمال المعماريين لبناء قصر الخليفة بدمشق ، ومسجد بيت المقدس ، وقصر الخليفة بالفسطاط انظر الآن :

Bell: Translations of the Greek Aphrodito papyri, der Islam, Band II, P. 274 No. 1341, No. 1342; Band II 1911, P. 373 No. 1362, P.374, No. 1366, 1368, P. 377 No 1378-1379, P. 383-No. 1401; Band III 1912.P. 132, No. 1411.

وعن تطابق التقديرات والقوائم الضريبية مع التحديدات الشرعية العادلة ، انظر ما تقدم الاحالات الى المقالات والكتب التي نشرت برديات مجموعة كوم اشقاو الخاصة بالوالي قرة ، وانظر مجموعة أخرى من البرديات الادرايية ، التي يرجع عدد كبير منها الى منطقة الفيوم في عصر الولاة ، جروهمان : اوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ، الترجمة العربية ، السفر الثالث ، القاهرة ١٩٦٢ ، والسفر الرابع ، القاهرة ١٩٦٧م ، السفر الخامس ، القاهرة ١٩٦٨م . وانظر ايضا حول هذا الموضوع الادارى :

Bell: H I: The administration of Egypt under the Umayyad Khalifs, (Byzantinische Zeitschrift, XXVIII, 1228) P.P. 278-286.

محمد عبد الهادى شعيرة : اختصاصات صاحب الكورة في القرن الأول — الهجرى ، حسب مجموعة افرودتو البردية ، (مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية — مايو ١٩٤٣م) . باللغة الفرنسية .

مظاهر التسامح الدينى بين الحكومات الاسلامية تجاه اهل الذمة بمصر.(١)

---

(١) افاد جروهمان أن بدار الكتب المصرية عددا من المستندات القبطية، وكذلك منشور اسقفى صدر من الانبا بطرس بطريرك الاسكندرية، حوالى سنة ٩٥هـ / ٧١٣م، أى فى السنة الاخيرة من ولاية قرة بن شريك على مصر، وقد صدر هذا المنشور بمناسبة أعياد الفصح، وهو مكتوب على درج بأوله بروتوكول يونانى عربى تاريخه سنة ٨٨ هـ (٧٠٧م).
انظر جروهمان : اوراق البردى العربية، المحاضرة الثانية، ص ٥—٦. وعن صور أخرى من التسامح الدينى للحكومة الاسلامية بمصر تجاه النصارى، وغيرهم من الاقليات الدينية بمصر انظر

Abbott, N: The monosteries of the Fayyum. A J S L, 53, (1936-37), PP. 13-33, 73-96, 158-179.

Abbott, N,: Arabic marriage contracts among copts. Z D M, G, 95, (1941), PP. 59-81.

Anawati et Jomier: Un papyrus Chrétien en arabe (Egypte, IX Siecle ap. J.C.) Mél. islamologique II, 1954, PP. 91-102

وقارن الحقائق التاريخية التى وردت فى البرديات العربية، بما جاء فى وثائق دير سانت كاترين، وهى امانات كان يمنحها حكام مصر الاسلامية منذ فتح عمرو بن العاص لمصر سنة ١٨ هـ وقيل منذ خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك سنة ٩ هـ. على الحدود بين بلاد الحجاز والشام وسيناء لرهبان الاديرة. وكانت تجدد لهم بصفة دورية. انظر عن وثائق ديرسانت كاترين :
— مراد كامل : فهرست مكتبة دير سانت كاترين بطور سيناء، وزارة المعارف العمومية، ادارة احياء التراث، ج ١—٢، المطبعة الاميرية بالقاهرة سنة ١٩٥١م.

Stern (S.M.): Fatimid Decrees, London, 1964.

— احمد محمد عيسى : مخطوطات وثائق دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، المجلد الخامس، ص١٠٥—١٢٤.
— جوزيف نسيم : دراسة فى وثائق العصرين الفاطمى والايوبى، المحفوظة بمكتبة دير سانت كاترين فى سيناء، مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية المجلد ١٨، ١٩٦٤م، ص١٧٩—٢٠١.

Ernst (H.): Die mamlukischen Sultan zur kunden des Sinai Klosters Wiesbaden 1960.

٥— تمتع أهل الذمة بمصر بحقوقهم القضائية والمدنية (١) ، وعدالة النظام القضائي بمصر تجاه أهل الذمة (٢) ، في ضوء البرديات القضائية .

---

(١) ذكر الكندي في كتابه القضاه ، ان القاضي خير بن نعيم الحضرمي ، الذي ولي منصب قاضي قضاه مصر من سنة ١٢٠ هـ — ١٢٧ هـ كان يقبل شهادة النصارى على النصارى ، واليهود على اليهود ، ويسأل عن عدالتهم في اهل دينهم وأنه كان يقضي في المسجد بين المسلمين ، ثم يجلس على باب المسجد بعد العصر على المعارج فيقضي بين النصارى . (الكندي كتاب القضاة ص ٣٥١) . وقد روى الكندي بسنده عن يحي بن عبد الله بن بكير ، وهو أحد القبط المسالمة الذين اصبحوا من فقهاء الموالي المسلمين بمصر ، أن خير بن نعيم كان يقضي بين النصارى على باب المسجد ثم علق يحيى بقوله : " قد ادركت القضاه يجعلون لهم يوما في منازلهم ، وأول من ادخلهم المسجد محمد بن مشرق الكندي . وذلك في خصوماتهم بين بعضهم البعض وقد تولى محمد بن مسروق قضاء مصر من سنة ١٧٧—١٨٤ هـ . (الكندي : كتاب القضاه ، ص ٣٩٠—٣٩١) . وقد افاد الكندي وابن عبد الحكم تحري خليفة المسلمين وقضاه مصر للعدل تجاه قبط مصر من أهل الذمة وقصة انتصاف الخليفة عمر بن الخطاب من ابن عمرو بن العاص والي مصر وجلده امام ابيه لاعتدائه على قبطي معروفة مشهورة ، وقد ذكرها ابن عبد الحكم : انظر فتوح مصر ، ص ١٦٧—١٦٨ ، ويخبرنا الكندي ببعض حوادث تشير الى عدالة القضاه المسلمين في عصر الولاه تجاه اهل الذمة . فيذكر ان القاضي خير بن نعيم الحضرمي في ولايته الثانية للقضاء سنة ١٣٣ هـ . أمر بحبس جندي قذف رجل — أغلب الظن انه ذمي لان التجنيد كان يعم جميع المسلمين ، فخاصمه الرجل الى خير . فطلب منه أن يثبت على ذلك شاهدا ففعل فأمر خير بحبس الجندي . (انظر كتاب القضاه ، ص ٣٥٦) كذلك حكى الكندي ان القاضي غوث بن سليمان ، قد انصف امرأة ذمية من أهل ريف مصر ، بعد أن استغاثت به في السوق وهو راكب الى مجلس القضاء ، فنزل اليها وقضى حاجتها ، فدعت له .
(كتاب القضاه ، ص ٣٧٣—٣٧٤) .

(٢) انظر عدد هام من هذه البرديات القضائية عند جروهمان : أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية ، السفر الأول ، سنة ١٩٣٤ م ص ٦٧—٢٣٥ .

٦- زواج العرب بالنساء القبطيات بمدن وقرى مصر ، اقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتسريه بمارية القبطية (١) في ضوء عقود الزواج التي وصلتنا على البرديات (٢) .

---

(١) يقول المقريزي في فصل قضاء مصر : " ومن فضائل مصر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى من اهلها ، وولد له صلى الله عليه وسلم من نساء مصر ، ولم يولد له ولد من غير نساء العرب ، الا من نساء مصر (الخطط ، ج ١ ، ص ٤٥ ، س ٣-٤) . وقد ساعد على ظاهرة كثرة زواج العرب من نساء القبط ، العلاقات الودية التي ربطت بين قبائل العرب ، وأهل قرى الريف المصري من قبط مصر ابان ظاهرة الارتباع التي تتم في شهر الربيع ، لعلف الجند خيولهم وتدريبها ، وكان لكل قبيلة قرية معينة او عدة قرى ترتبع فيها كل سنة ، ومسجلة في ديوان العطاء ، لايجوز ان تتعداها الى قرية أخرى . وقد جاء في خطبة عمرو بن العاص للجند العربي عن خروجهم للارتباع في الريف " ... واستوصوا بمن جاورتم من القبط خيرا ، واياكم والموسومات والمعسولات ، فانهن يفسدن الدين ويقصرون الهمم . حدثني عمر امير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان الله سيفتح عليكم بعدى مصر ، فاستوصوا بقبطها خيرا فان لكم منهم صهرا وذمة " فعفوا ايديكم وفروجكم وغضوا ابصاركم ..... " (ابن عبد الحكيم : فتوح مصر ، ص ١٤٠-١٤١) وكان لاباحة القرآن ، زواج المسلمين بنساء اهل الكتاب ، اكبر الاثر في حدوث وتكرار روابط النسب والمصاهرة بين العرب و قبط مصر . قال تعالى : " اليوم احل لكم الطيبات ، وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم . والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم . اذا اتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى اخدان- . ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين) (آية ٥ من سورة المائدة)

(٢) نشر جروهمان بعض عقود الزواج التي تزوج فيها عرب من نساء قبطيات ، من مجموعة برديات دار الكتب المصرية انظر عقد الزواج رقم ١٥٩ مؤرخ سنة ٢٥٩ هـ . انظر جروهمان : اوراق البردى بدار الكتب المصرية ، السفر الاول ، ص ٧٣-٧٤ ، وعقد الزواج رقم ١٨٧١ المؤرخ بتاريخ سنة ٢٣٣ هـ . واسم الزوجة قبطي وهو " يونة ابنت حلبص " واسم الزوج عربي وهو " يزيد بن قاسم الجرار " انظر جروهمان : المرجع السابق ، السفر الاول ، ص ١٠٥-١٠٨ . وانظر ايضا

Abbott, N: Arabic marriage Contracts among Copts. Z.D. MG, 95, (1941), PP. 59-81.

٧- تجنيد من أسلم من القبط في ديوان العطاء ، ملحقين بدعوة قبائلهم التي اسلموا على يديها ، وانتسبوا اليها برابطة الحلف والولاء (١) .

---

(١) اليك الآن بعض الامثلة عن تسجيل المسلمين لمسالمة القبط وغيرهم من مسالمة اهل مصر من البربر والنوبة والعرب المتنصرة ، في ديوان العطاء والجند ، واشراكهم في شرف العطاء .

أ - جبر بن عبد الله القبطي ، مولى بني غفار ، كان رسول المقوقس بمارية القبطية . انظر ترجمته وترجمة ابنيه عبيد بن جبر ، وخالد بن جبر ، عند ابن ماكولا ، الاكمال في رفع ارتياب عن المؤتلف والمختلف من الاسماء والكنى والانساب ، طبع الهند ، سنة ١٩٦٣م ، ج ٢ ، ص١٤ ص١٧ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٠٩ . حيث يذكر ان جبر القبطي قد اختط بخطة - اى حي - قبيلة غفار بمدينة الفسطاط التي اختطها المسلمون بمصر بعد فتحها سنة ٢١ هـ . انظر ترجمة جبر ايضا عند السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ، ص ٨٩ . وفيه ان القبط تفتخر بأن منهم من صحب النبي صلى الله عليه وسلم .

ب - عبد الرحمن بن يحنس ، مولى بني أبذى ، كان عريفا على موالي تجيب وكان في شرف العطاء ، وهو الذي تولى قتال ابن الزبير مدة فيما ذكره ابن غفير ، قاله ابن يونس . (ابن ماكولا : المصدر السابق ج ٢ ، ص ١٠) .

ج - أبو المهاجر عبد الرحمن البلهيني ، من تابعي اهل مصر ، وسمع جماعة من الصحابة ، وكان من سبي قرية بلهيب المصرية ، حين انتقضت في أيام عمر بن الخطاب ، فاعتقه بنو الاعجم بن سعد بن تجيب ، وكان عطائه في مائتين ، وكان معاوية بن أبي سفيان في خلافته قد عرّفه على موالي تجيب ، وبنى له معاوية دارا في بني الاعجم في الزقاق المعروف بالبلهيبي ، وكتب على الدار ، هذه الدار لعبد الرحمن سيد موالي تجيب ، ووهب له معاوية سيفا ، لم يزل عندهم . (ياقوت : معجم البلدان ، تحقيق وستنفلد ، طبع ليبسك ، سنة ١٨٦٦م ، ج ١ ، ص ٧٣٣-٧٣٤ ، مادة " بلهيب " .

ومن هنا يتضح لنا أهمية اصطلاح "الموالي" في اوراق بردى كوم اشقاو ، واصطلاح " الموالي والمهاجرين "في نفس هذه البرديات فالمقصود " بالموالي " المسالمة من اهل مصر من القبط والبربر والعرب المتنصرة والنوبة ، الذين اسلموا ، ودخلوا في ولاء احدى القبائل العربية التي اختطت لها حي في مدينة الفسطاط عند انشائها بعد فتح مصر سنة ٢١هـ . اما المقصود بـ" المهاجرين " فيقصد بهذا المصطلح

٨— اشراك العرب للقبط فى ادارة بلادهم بعد الفتح الاسلامى لمصر . قال ابن عبد الحكم فى الفصل الخاص بجزية مصر : " كان عمرو بن العاص لما استوثق له الأمر ، أقرّ قبطها على جبايتهم الروم ، وكانت جبايتهم بالتعديل ، اذا عمرت القرية وكثر اهلها زيد عليهم ، وأن قل اهلها وخربت نقصوا ، فيجتمع عرفاء (أ) كل قرية ومازوتها ورؤساء اهليها فيتناظرون فى العمارة والخراب ، حتى اقرّوا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة الى الكور ، ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع . ثم ترجع كل قرية بقسمهم (ب) فيجمعون قسمهم وخراج كل قرية ومافيها من الارض العامرة فيبذرون فيخرجون من الارض فدادين (جـ) لكنائسهم وحماماتهم ومعدياتهم (د) من جملة الارض ، ثم يخرج منها عدد الضيافة للمسلمين ونزول السلطات ، فاذا فرغوا نظروا الى ما فى كل قرية من الصناع والاجراء فقسموا عليهم بقدر احتمالهم ، فان كانت فيهم

= الجند العرب المسجلين فى ديوان العطاء ، الذين هاجروا مع حركة الفتوح الاسلامية من اوطانهم الاصلية سواء بالحجاز او نجد او تهامه او اليمن او البحرين او بلاد الشام ، لنشر الاسلام فى البلاد المفتوحة . انظر عن مصطلح " الموالى والمهاجرين "

Bell: Translations of the greek Aphrodito papyri, Der Islam Band III, 1912, P.371, Band XVII, 1928, P.4-5, No. 1441

حيث يفهم ان عدد كبير من الموالى ، كان يطلق عليهم بعد اسلامهم اسم "مسلم" بدل من اسمائهم الاعجمية او النصرانية او اليهودية القديمة التى كانوا يسمون بها قبل اسلامهم .

(أ) قرأها ثورى محقق فتوح ابن عبد الحكم ماورتها ، والثواب ما اثبتنا اعتمادا على المصادر العربية الاسلامية ، والبرديات العربية ، وتحقيقات ناشرى البردى وعلى رأسهم جروهمان وهى كلمة يونانية الاصل .

(ب) فى نسخ اخرى خطية من فتوح ابن عبد الحكم " فيبتدئون " وعند المقريزى " فيبتدون " .

(حـ) فى نسخ خطية اخرى " فدادينا " .

(د) فى المقريزى : " وحمایاتهم " ولعلها الصواب ، وقد تعنى الاديرة واوقافها .

جالية قسموا عليها بقدر احتمالها وقل ما كانت تكون الا الرجل المنتاب (هـ) اوالمتزوج ، ثم ينظرون مابقى من الخراج فيقسمونه بينهم على عدد الارض ، ثم يقسمون ذلك على من يريد الزرع منهم على قدر طاقتهم ، فان عجز احد وشكا ضعفا عن زرع أرضه وزّعوا ماعجز عنه على الاحتمال ، وان كان منهم من يريد الزيادة أعطى ما عجز عنه أهل الضعف ، فان تشاحّوا قسموا ذلك على عدتهم . وكانت قسمتهم على قراريط الدينار (و) اربعة وعشرون قيراطا يقسمون الارض على ذلك وكذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : " انكم ستفتحون ارضا يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيرا" . وجعل عليهم لكل فدان نصف اردب قمح (١) وويبتين من شعير الا القرط فلم يكن عليه ضريبة . والويبة يومئذ ستة امداد " .

ويفهم من هذا النص الذى يعد وثيقة بالغة الخطورة عن عدالة الحكم الاسلامى لمصر ، وتسامحه الدينى تجاه قبط مصر من أهل القرى والريف ، الذين ظلوا على نصرانيتهم ولم يدخلوا فى الاسلام بعد الفتح الاسلامى العربى لمصر ، الحقائق التالية :

أ — ان جباية المسلمين لخراج مصر ، جاءت على أساس "التعديل" ، اى على أساس متوسط عادل للايراد السنوى لمصر ، فاذا خصبت الارض زاد الخراج ، واذا اقفرت قل الخراج .

ب — ترك العرب القبط يتولون بأنفسهم شئون زراعة وتعمير قراهم ، وجباية الخراج السنوى الذى رتبته ووظفته عليهم الحكومة العربية الاسلامية بعد الفتح ، بحيث تركت هذه المهمة ليتولاها حاكم الاقليم ، وصاحب الكورة وكان يلقب فى العصر

(هـ) فى نسخة خطية اخرى " المساد " (كذا) وفى المقريزى " الشاب" وفى حسن المحاضرة " المنتاب" أيضا .

(و) جاء بعد كلمة الدينار فى نسخة خطية أخرى " نصف اردب" .

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ " ذكر الجزية " ، المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٢٣—١٢٤ " ذكر ماعمله المسلمون عند فتح مصر فى الخراج وماكان فى أمر مصر فى ذلك مع القبط" .

البيزنطى " بجاركوس" ورؤساء القرى ، أى العمد وكان لقبهم البيزنطى " مازوت" جمعها " موازيت" ، وشيوخ القرى أى مايوازى وظيفة شيخ البلد اليوم بمصر ، كما تركوا لهم ايضا وظيفة المشرف على مالية الكورة " الجسطال " ، وأيضا وظيفة متولى مسح الاراضى الزراعية .

ج ـ لما كان الخراج يحدد على أهل كل اقليم ، على اساس الخراج النقدى والعينى الذى ربط ووظف على اقليمهم بعد الفتح الاسلامى . فان صاحب الاقليم ورؤساء القرى (العَمَد) وشيوخ البلاد كانوا يجتمعون فى عاصمة الاقليم ، ويقسمون الخراج المربوط على الاقليم ، على القرى التابعة له ، على قدر مساحة الاراضى الزراعية فى كل قرية ، ومدى خصوبتها ووفرة غلة اراضيها .

د ـ كانت الاموال والنفقات التى يصرفها اهل كل قرية على كنائسهم وديراتهم ومعدياتهم ومنشآتهم الدينية والخيرية تخصم من جملة الخراج المفروض على اهل القرية بالتضامن وهذا قمة التسامح الدينى .

هـ ـ كان رسم الضيافة لجيوش المسلمين ، فى حالة مرورهم بالقرية ، ومعسكرتهم بقربها المدة يوم الى ثلاثة ايام وهى المدة الشرعية للضيافة ، تخصم أيضا من جملة الخراج السنوى للارض ، وقد أكدت هذه الحقيقة ، البرديات التى ترجع الى أيام الفتح الاسلامى لمصر سنة ٢٢ هـ ، المحفوظة بمكتبة البرتينا بالنمسا (٢) .

و ـ كان أهل كل قرية يؤدون الخراج السنوى الذى وظف عليهم بالتضامن فيما بينهم لذا كان عمدة القرية وشيخ بلدها ، وكبار شيوخ القرية ، يتولون بأنفسهم تحديد الحصة التى يتحملها كل شخص من أهل القرية من الخراج ، كل على قدر مساحة

---

(١) عن هذه الوظائف انظر محمد عبد الهادى شعيرة : اختصاصات صاحب الكورة فى القرن الاول الهجرى حسب مجموعة افرودتو البردية ، (مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ـ مايو ١٩٤٣م) باللغة الفرنسية ، كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٠ م ، ص ٢٧ .

(٢) انظر نشر ودراسة لبعض هذه الوثائق عند جروهمان : أوراق البردى العربية ، المحاضرة الثالثة ، ص ٥ ـ ٦ ، المحاضرة الرابعة ، ص ٦ ، وانظر ما سيأتى فى مقالنا هذا .

ارضه المنزرعة ، وخصوبتها ، وثروته . فكان الخراج اذا يراعي الحالة المادية من الغناء والفقر لكل فرد في القرية ، ضمانا للعدل .

ز— بالنسبة لاهل القرية الذين لا يملكون اراضي زراعية ، ويعملون كصناع وحرفيين ، او اجراء عند أثرياء القرية ، فكانت تؤخذ منهم الجزية فقط على رؤسهم كل بقدر طاقته واحتماله . وهي الجزية الشرعية التي حدد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، حدها الاعلى وحدها الادنى ، فيدفع الغني شريحة الاغنياء من الجزية ، ويدفع الفقير شريحة الفقراء من الجزية ، وكان الخليفة عمر قد حدد شرائح الجزية وجعلها على طبقات ثلاث بعد فتح بلاد العراق والشام (١) ، ثم أجرى ارض مصر واهلها مجرى اهل سواد العراق ، من حيث الخراج والجزية ، اى الوضع الادارى والشرعي (٢) .

ح— كان الغرباء من غير أهل القرية ، من أهل الذمة المطالبين بأداء الجزية ، يتحملون جزءا من الخراج الكلي المطالب به أهل القرية بالتضامن فيما بينهم ، اذا كانوا قد هاجروا من قراهم الاصلية واستوطنوا هذه القرية ، وكان يراعي ايضا عند آخذ جزيتهم طاقتهم واحتمالهم ، واذا كان منهم من نزلت به نائبة او كارثة "المنتاب" اضطرته الى الهجرة من قريته واستيطان هذه القرية ، فانه يعفى من أداء الجزية ، واذا كان منهم المتزوج كثير العيال ، فانه يعفى ايضا ، حتى تستقر امور هؤلاء الغرباء الفقراء في هذه القرية الجديدة التي استوطنوها . وهو تسامح وعدل قل أن نسمع بمثيله في التاريخ .

---

(١) حين وضع عمر الجزية على رؤس اهل الذمة بالعراق والشام ، وجعلها على طبقات ، قال لعماله على الامصار " لا يوضع عليهم اكثر من ذلك ، ومن عجز منهم خفف عنه " انظر يحيى بن ادم . كتاب الخراج ، ص ٢٣ رقم ٢٩ ، ص ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ص ٦٦ رقم ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، وانظر ايضا ص ٤٠ رقم ١٠٣ ، ابو يوسف : كتاب الخراج ، ص ٤١ ، ص ١٣٨ ، وانظر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٦٢ ، ص ١٦٣ ، ص ١٧٩—١٨٠ ، خبر ٤٠٩ ، ٤١٠ .

(٢) انظر فيما يلي من هذا المقال دراستنا للوضع الشرعي والادارى لمصر بعد الفتح الاسلامي ، وانظر ما تقدم من اشارات بهذا الخصوص .

ط ـ اذا ضعف بعض ملاك الاراضى الزراعيـــة بالقرية ، عن زراعة أرضه وأداء مـــا عليها من الخراج ، لسبب أو لآخر ، ووجد من اهل القدرة فى القرية مـــن يريد زراعة هذه الاراضى وأداء ماعليها من الخراج ، دفعت اليه ، وطولـب بخراجها السنوى ، وأعفى صاحبها الاصلى من الخراج ، واذا تنافس عـــدد كبير من أهـل القريـــة فى زراعة الاراضى التى عجز اهلها عن زراعتهـــا قسّمت فيما بين الراغبين فى زراعتها وأداء خراجها قسمة عادلة بالتساوى علـــى حسب عددهم . وفى هذا أيضا اشارة ضمنية لما تمتع به المزارعين وملاك الاراضى من القبط من أهل الريف المصرى من ثروة ورخاء ، كان يدفعهم الى المطالبـة بزراعة أراضى جديدة لم تكن فى ملكهم من قبل ، وأداء ما عليها من الخـراج . وتمدنا البرديات القضائية والفقهية على أدلة وثائقية كثيرة جدا ، تؤكد الشـــراء الفاحش لاهل الذمة بمصر ، وشرائهم لضياع وأراضى زراعية مستحدثة واسعـــة ، وشرائهم للبيوت الكبيرة والعقارات المبنية .

ى ـ علق ابن عبد الحكم على هذا النظام الخاص بتحديد مقدار خراج مصـر ، وكيفية جبايته ثلاث تعليقات هامة : هى أن عمرو بن العاص " أقر القبط علـــى جباية الروم " ، وأن الجباية كانت " بالتعديل " ، و " على قدر الاحتمال " ، وان تقسيم الخراج كان يقسم على أساس وحدة قياسية هى القيراط ، وجـــاء عدل المسلمين فى جباية الخراج تحقيقا لحديث النبى صلى الله عليه وسلـــم " انكم ستفتحون ارضا يذكر فيها اسم القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيـرا " .

ك ـ اكدت البرديات الطويلة الخاصة با لقوائم الضرائبية الكلية المربوطة على اقلـيم كوم اشقاو فى عهد ولاية الوالى الاموى قرة بن شريك (٩٠ـ٩٦هـ) ، تطابـــق

---

(١) انظر جروهمان : اوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ، الترجمـــة العربية ، السفر الاول ص١٢٩ـ١٤٢ ، "بيـع املاك عقارية " ص١٤٥ ـ ٢٣٥ " بيع بيوت مملوكة " . السفر الثانى طبع دار الكتب المصرية ١٩٥٥م ، ص٣ـ ١٩ " بيع اجزاء من دار " .

(٢) انظر بيان بهذه البرديات ، وارقامها بالمتحف البريطانى ، والصفحات الـــتى نشرت فيها من مقال Bell فى مجلة Der Islam ، ما تقـــدم فى مقالنا هذا عند الحديث عن عدالة النظم المالية الاسلامية بمصر .

النظام والتقدير والطريقة التي جبى بهم المسلمون خراج اقاليم وقرى الريف المصرى ، على نحو ما وصفه ابن عبد الحكم فى فتوح مصر فكانت الجزية تجبى على طبقات (١) مراعاة للغنى والفقر ، وعلى ثلاث أقساط سنوية تخفيفا على أهل الذمة ، وكان الخراج يجبى على قدر المساحة والمحصول ، كما كان يجبى منجما على نجوم (٢) او على ٤ أقساط سنوية تسمى " طبولا " تخفيفا على أهل الذمة وكانت ضريبة الضيافة تخصم من جملة الخراج المربوط على الاقليم عند السداد فى آخر السنة الضريبية . كذلك كان بيت المال المركزى بالفسطاط ، يخصم اجور العمال والصناع الذين يقدمهم الاقليم الى العاصمة من جملة الخراج المربوط على الاقليم ايضا . وقد أفادت البرديات ان أجور الصناع والعمال ومدة شهور خدمتهم (٤) الاميرية ، كانت تحدد لوالى الاقليم سلفا ، قبل التحاقهم بالعمل الحكومى .

"حسن معاملة العرب للقبط ابان الفتح الاسلامى لمصر ، والطابع الانسانى للفتوحات الاسلامية ، والسلوك الحضارى للفاتحين ، والهدف الدعائى البلاغى من الفتوحات الاسلامية فى ضوء البرديات العربية" .

وضع النبى صلى الله عليه وسلم لقواد سراياه ، دستور الحرب والقتال فى الاسلام ، والتزم بهذا الدستور من بعده صلى الله عليه وسلم خلفاء الاسلام فى جميع الفتوحات الاسلامية ، سواء التى تمت فى عهد الخلفاء الراشدين أو من

---

(١) عن تأكيد البرديات لكون الجزية كانت منجمة تدفع على اقساط ، وانها كانت على ثلاث طبقات اولى وأوسط وأعلى ، انظر جروهمان : اوراق البردى العربية ، المحاضرة الرابعة ، ص ١٢ ، وهو يعتمد على برديات محفوظة بمكتبة البرتينا بالنمسا ، من مجموعة الارشيدوق راينر ، وهى البرديات ارقام ١٠٩٢ PERF ، ٦٧٠ PERF وانظر ما يأتى دراسته فى هذا المقال ، وما تقدم أيضا من اشارات .

(٢) انظر جروهمان : أوراق البردى العربية ، المحاضرة الرابعة ، ص ١٠—١٢ .

(٣) انظر نفس المرجع ، المحاضرة الثالثة ، ص ٥—٦ ، وانظر ما سيأتى دراسته فى مقالنا هذا ، وما تقدم ايضا من اشارات .

(٤) انظر ما تقدم من اشارات ، خاصة ببرديات الوالى الاموى قرة بن شريك .

بعدهم ، ويتضح من الدستور الذى وضعه النبى صلى الله عليه وسلم للحرب والقتال ان سراياه صلى الله عليه وسلم وبعوثه التى سيّرها فى حياته ، قد تميزت بطابع انسانى ، وسلوك حضارى ، وهدف دعائى بلاغى دينى ، وهو تألف الناس للدخول فى الاسلام ، وهو ذات الهدف والطابع والسلوك الذى تفردت به حركة الفتوحات الاسلامية بين جميع الحروب التى عرفتها البشرية وشهدها التاريخ فلقد كانت الفتوحات الاسلامية تحمل معها الأمن والحرية والعدل ، والحضارة فى يد ، والنور ، والهدايا والايمان فى اليد الاخرى .

وقد أخرج الامام مسلم فى صحيحه بسنده ، دستور الحرب والقتال فى الاسلام كما جاء على لسان النبى صلى الله عليه وسلم . قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر اميرا على جيش او سرية ، أوصاه فى خاصته بتقوى الله عز وجل ومن معه من المسلمين خيرا ، ثم قال : اغزوا باسم الله فى سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال او خلال ، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم ، ثم ادعهم الى الاسلام ، فان اجابوك فأقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين ، وأخبرهم آنهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما للمهاجرين . فان أبوا ان يتحولوا منها ، فآخبرهم انهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم فى الغنيمة والفىء شىء ، الا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فان هم أبوا فسلهم الجزية ، فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم واذا حاصرت أهل حصن فآرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمةأصحابك ، فانكم ان تخفروا ذممكم وذمم اصحابكم اهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله . واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله ،

ولكن أنزلهم على حكمك ، فانك لا تدرك أتصيب حكم الله فيهم أم لا .(١)

كذلك أخرج الامام مسلم بسنده ، حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، يحرم فيه قتل النساء والصبيان في الحرب ، وهو أن أمرأة وجدت في بعض مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقتولة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان .(٢)

وأيضا اخرج الامام مسلم بسنده ، حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أرشد فيه قواد جيوشه ، الذين هم في نفس الوقت الدعاه الى الاسلام في دار الحرب ، على الطريقة المثلى التي يتألفون بها قلوب الناس ليدخلوهم في الاسلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره ، قال : بشروا ولا تنفروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا"(٣)

وأوضح النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته رضوان الله عليهم ، ان الله لا يؤجر اى جندى من جنود المسلمين في مغازية صلى الله عليه وسلم أو في

---

(١) أورد هذا الحديث بطوله كل من الامام مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، طبعه عيسى البابى الحلبى القاهرة سنة ١٣٤٩ هـ ، كتاب الجهاد ، باب تأمير الامام الامراء على البعوث ووصيتهم اياهم بأداب الغزو وغيرها ج ٢ ، ص ٦٢ ، وقد أخرج هذا الحديث بأكثر من طريق ، وانظر ايضا ج ٢ ، ص٤٦ من طبعة بولاق من صحيح مسلم ، والحديث رواه أيضا الترمذى : في السنن ج ٢ ، ص ٣٠٥ طبع بولاق ، ورواه احمد بن حنبل في المسندة : ٣٥٢ ، ورواه ابن ماجه في السنن ٢ : ١٠٣ ورواه ايضا الشافعى في الأم ٤ : ٩٥ ، رواه أبو عبيد في الاموال ١ : ٢٤—٢٥ كتاب الفيء ، باب الجزية والسنة في قبولها وهى من الفيء .

(٢) الامام مسلم صحيح مسلم ، كتاب الجهاد ج ٢ ، ص ٦٥ باب تحريم قتل النساء والاطفال في الحرب .

(٣) المصدر السابق ، كتاب الجهاد ، ج ٢ ، ص ٦٢—٦٣ ، "باب في امر الجيوش بالتيسير وترك التنفير .

سراياه بثواب الاستشهاد والجنة ، الا اذا كان هدفه من جهاده الذى صيره هجيراه ، هو جعل كلمة الله هى العليا وجعل دين الله هو الظاهر على جميع الاديان (٢) . فقد أخرج الامام مسلم بسنده بأكثر من طريق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حميه ويقاتل رياء ، أى ذلك فى سبيل الله ؟ ، فقال رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم : "من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله" وفى هذا هدى من النبى صلى الله عليه وسلم الى أن الغرض البلاغى الدينى هو الهدف الوحيد للمغازى النبوية والفتوحات الاسلامية .

فمجمل توجيهات النبى صلى الله عليه وسلم لقواد الاسلام ، تتدرج اذا النقاط التالية :

١- نهى الجند عن الغلول ، أى السلب والنهب ، ويعنى به الاعتداء على ممتلكات او اراضى او اموال اهالى البلاد غير المحاربين ، الذين يمر جيش المسلمين على مدنهم او قراهم .

٢- عدم الغدر ، أى عدم الاقدام على محاربة أى قوم بعد طلبهم للامان من قائد المسلمين ، ومنح قائد المسلمين لهم الامان .

٣- عدم اللجوء الى الطرق الوحشية غير الانسانية ، عند قتل المقاتلة المحاربين ، مهما كانت درجة عداوتهم للمسلمين ومهما كانت اعمالهم .

٤- النهى عن قتل الاطفال والنساء ، لضعفهم عن القتال والدفاع عن انفسهم ، ولأن قتلهم مناف للنخوة والمروءة والشهامة والانسانية .

٥- دعوة أهل دار الحرب قبل قتالهم الى الاسلام ، وتخييرهم بين احدى خصال ثلاث : الدخول فى الاسلام ، دفع الجزية ، الحرب . واطلاع هؤلاء المقاتلين ان قبولهم الاسلام يساويهم بالمسلمين فى جميع الحقوق والواجبات ، ويجعلهم مستحقين فى الغنيمة والفىء الذى افاءه الله على المسلمين فى

---

(١) راجع بحث مستوفى للامام الشافعى فى معنى ظهور الاسلام على الاديان ، انظر الشافعى كتاب الام ، ج ٤ ، ص ٩٣-٩٤ .

حروبهم مع الكفار ، فـــى حين ان قبولهم دفع الجزية ، يضمن لهـــم حريتهم الدينية وحقوقهم المدنية والقضائية ، ويعفيهم من أداء الخدمـــــة العسكريـــة القاصرة على المسلمين لارتباطها بفريضة الجهاد ونشر الاســـلام ، وبالتالى لا يكونون مستحقين للفيء الخاص بالجند المسلمين .

٦ــ تفضيل قبول الصلح من الأهالى ، بشروط الاسلام فى الصلح ، على تحقيـــق نصر عسكرى حاسم ، قد يحقق للقائد المسلموجنوده مكاسب سياسية ومغانـــم مالية ، حقنا للدماء ، وزهدا فى ازهاق الانفس والارواح .

٧ــ أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المواثيق على قادة المسلمين ، بضـــرورة الوفاء بعهود صلحهم التى يمنحوها لاهل البلاد المفتوحة ، لما فى احترامهـــم لشروط عهود الصلح ، من كسب ثقة اهل البلاد ، ومن تألف قلوبهم ، ومـــن مراعاة للعدل الذى جعله الاسلام من أهم مبادئه .

٨ــ ارشد النبى صلى الله عليه وسلم قواد جيوشه ، وكانوا جميعا من كبار صحابتـــه رضوان الله عليهم ، وبمثابة دعاته ورسله الى الشعوب التى لم تبلغها بعـــد دعوة الاسلام ، لسكناها فى دار الحرب ، ، وخضوعها للسيطرة السياسيـــة والتوجيه الاعلامى لممالك دار الحرب والكفر العظمى آنذاك مملكتى الفـــرس والروم ، فأرشد النبى صلى الله عليه وسلم قواد جيوشه ودعاته الى الشعوب ، ان يبشروا ولا ينفروا ، وأن ييسّروا ولا يعسّروا ، وتلك خير الوسائل لتألـــف قلوب الناس ، ومعالجة مشاكلهم ، وتحقيق مطالبهم .

٩ــ اوضح النبى صلى الله عليه وسلم لصحابته رضوان الله عليهم ، ان الله لايؤجـر أى جندى من المسلمين بثواب الاستشهاد والجنة الا اذا كان هدفه مـــن جهاده خالصا لله تعالى ، وهو جعل كلمة الله هى العليا ، وظهـــور دين الاسلام على الاديان ، وفى هذا هدى من النبى صلى الله عليـــه وسلم الى أن الغرض البلاغى الدينى هو الهدف الوحيد للمغازى النبويـــة والفتوحات الاسلامية .

ولقد أشارت كتب الفتوحات الاسلامية ، وكتب الخراج والاموال والأحكام السلطانية التى ألفت فى الاسلام ، الى التزام الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم من خلفاء الاسلام بدستور الحرب والقتال الذى وضعه النبى صلى الله عليهم وسلم ، وتوجيهاته بخصوص النهوض بفريضة الجهاد فى سبيل الله . فنجد أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين ، يرشد قواده عند خروجهم فى أول خلافته لفتح بلاد الشام سنة ١٣ هـ بوصية (١) جامعة ، جاء أغلب ما فيها من ارشادات وتوجيهات مستمدا من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم السابق الاستشهاد بها عن آداب الجهاد فى سبيل الله .

وظل سلوك الفاتحين ، والتزامهم بآداب القتال التى سنها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من احرص ما يحرص عليه الخلفاء الراشدين ، لما فى هذا السلوك من تآلف قلوب أهل البلاد المفتوحة واستمالتهم للدخول فى الاسلام ، وهو الهدف الاسمى الذى حرك حركة الفتوح الاسلامية فقد اخرج أبو عبيد بسنده فى كتابه الاموال ، عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب الذى تمتد فى عهده أغلب الفتوحات الاسلامية (٢) انه رضى الله عنه تبرأ لأهل الذمة من معرة الجيش "

واذا رحنا نتتبع سلوك قائد فتح مصر ، الصحابى الكبير عمرو بن العاص رضى الله عنه ، عند فتحه لاقاليم البلاد المصرية ، اعتمادا على رواية الطبرى لوجدنا أن سلوك هذا الفاتح العظيم وجيوشه يطابق دستور الحرب والقتال وآدابها

---

(١) انظر نص وصية أبو بكر الصديق لقواد جوشه المتوجهة لفتح الشام عند الازدى : فتوح الشام ، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ١٩٧٠م ص ١٢ ، الواقدى : فتوح الشام ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، الطبعة الرابعة ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٦م ص ٤ .

(٢) أبو عبيد : كتاب الاموال ، ١ : ١٥١ ، خبر ٤٢٤ ، كتاب افتتاح الارضين صلحا وأحكامها وسننها وهى من الفىء ولا تكون غنيمة " باب ما يحل من مال أهل الذمة غير ما صولحوا عليه " ونقل محقق كتاب الاموال الشيخ حامد الفقى ، عن كتاب النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير " معرة الجيش " أن ينزلوا بقوم فيأكلوا من زروعهم بغير علم . وقيل : هو قتال الجيش دون اذن الأمير والمعرة : الامر القبيح المكروه .

التى وضعها النبى صلى الله عليه وسلم وأوصى بها قواد سراياه ، والتزم بها الخلفاء الراشدين وأوصوا بها قواد فتوحاتهم . ثم جاءت اوراق البردى العربية ، التى اكتشفت فى نهاية القرن الماضى ، والتى ترجع الى ايام الفتح الاسلامى لمصر (هى مؤرخة بالتحديد سنة ٢٢ هـ) ، لتقدم الدليل الوثائقى المحايد والمؤكد ، للسلوك الحضارى والانسانى للجيش الاسلامى الذى فتح مصر .

وقد أخرج ابو جعفر الطبرى بسنده فى تاريخه ، ان عمرو بن العاص حين بلغ مشارف مدينة بابليون ، ـ وكانت العاصمة الثانية لمصر البيزنطية بعد الاسكندرية مقر الوالى الرومانى بمصر ـ هو وجيوشه ، لم يحارب الجيوش التى أرسلها المقوقس والى الاسكندرية الرومانى وصاحب مصر لملاقاة المسلمين ، الا بعد ان عرض عليهم الاسلام ، ودعاهم الى الدخول فيه ، وخيرهم بين الخصال الثلاث: وهى الاسلام ، او الجزية أو الحرب ، وأخبرهم بوصية النبى صلى الله عليه وسلم بالقبط ، وأنه سيراعى فيهم هذه الوصية اذا ما فتح مصر وهزم الروم وأجلاهم ، واستقر له حكمها ، وأمهلهم ثلاثة ايام للرد عليه ثم زادهم يوما رابعا . فلما رجعوا الى المقوقس ، وعرضوا عليه هذه الشروط ، فى حضرة الارطبون ، وهو قائد جيوش الروم فى الشام الذى فر الى مصر بعد هزيمته امام المسلمين بالشام ، رفض الارطبون هذه الشروط وأرغم زعماء القبط بمصر على الاشتراك معه فى مهاجمة معسكر المسلمين على حين غرة ليلا مما جعل عمرو بن العاص على قتال القبط ، وسبى نساءهم وأطفالهم ، ثم ردهم بعد أن كاتب فيهم الخليفة عمر بن الخطاب ، فمن عليهم الخليفة باطلاق سراحهم ، مراعاة لوصية النبى صلى الله عليه وسلم بالقبط ، وتآلفا لهم للدخول فى الاسلام (١) .

واليك نص الحوار الذى دار بين عمرو بن العاص وبين ابن مريم جاثليق مصر (*) ،

---

(١) انظر عن كل هذه الاحداث ، الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، وتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، طبع دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٣ م ، ص ع ، ص ١٠٧ ـ ١١٠ .

* اورد الخوارزمى فى كتابه مفاتيح العلوم ، فى الفصل التاسع بعنوان " فى الفاظ يكثر ذكرها فى اخبار ملوك الروم " ، الترتيب الكهنوتى فى الكنائس النصرانية على النحو التالى : =

وأبى مريام الاسقف ، كما اورده الطبرى بسنده ، لما فيه دلالة على التزام عمرو بن العاص بدستور القتال الذى وضعه النبى (صلى الله عليه وسلم) ومن دلالة على رغبة قبط فى خلع طاعةالبيزنطيين والدخول فى طاعة المسلمين وقبول شروط صلحهم .

= أ ـ " البطرك" : اعظم ارباب المراتب فى الدين ، واذا عُرِّب قيل بطريق ، وهم اربعة فى ممالكهم ، احدهم يقيم بالقسطنطينيه ، والثانى برومية ، والثالث بالاسكندرية ، والرابع بانطاكية . وتسمى هذه البلدان الكراسى واحدها كرسى . (الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، ص ١٢٩) وعلق الدكتور الباز العرينى على هذا التعريف بقوله : وهذا منطبق على الواقع التاريخى حتى القرن السابع الميلادى على أبعد تقدير . (انظر حسن الخشاب والباز العرينى : ضبط وتحقيق الالفاظ الاصطلاحية التاريخية الواردة فى تاب مفاتيح العلوم للخوارزمى ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد السابع ، سنة ١٩٥٨م ، ص ٢٧٤) .

ب ـ " القاثوليق وهو الجاثليق" :ـ ويكون تحت يد البطريق . ومقام الجاثليق (فى أيام الخوارزمى =ق ٤ هـ) فى حضرة الامام (اى خليفة المسلمين) ببلد العراق مدينة السلام (فى العصر العباسى) ، فيكون تحت يد بطريق انطاكية . (الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص ١٢٩) . وعلق كل من الخشاب والعرينى بقولهما : على أن الصيغة الاولى هى الاقرب للأصل Katholikos ، وهو كما ورد فى موسوعة كمبردج لتاريخ العصور الوسطى جـ ٤ ، ص ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٩ ، الرئيس الدينى فى مملكة ارمينيا المسيحية ، ويلى ملكها مباشرة ، وتقابل ظيفة البطريق فى غير ارمينية من البلاد المسيحية (انظر نفس المقال السابق) ، ص ٢٧٦ .)

حـ ـ "المطران" :تحت يد الجاثليق ، ويكون مقام مطران خراسان بمرو (الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، ص ١٢٩) . يقابل هذا اللفظ (Metropolitan) فى اللغة الانجليزية ، أى الرئس الدينى فى عاصمة من العواصم المسيحية الاقليمية (انظر المقال السابق ، ص ٢٧٨) .

د ـ "الاسقف" : من أصحاب المراتب فى الدين ، يكون فى كل بلد من تحت يد المطران . (الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، ص ١٣٠ ، المقال السابق ، ص٢٧٣) . فيفهم من هذا الترتيب الرئاسى للجهاز الكهنوتى الاكليروسى ، ان بطرك الاسكندرية بنيامين ، وهو الرئس الاعلى للكنيسة القبطية بالاسكندرية ، كان قد فر الى الصحراء هربا من اضطهاد الدولة البيزنطية الملكانية المذهب له ولكنيسته القبطية اليعقوبية المذهب (كما افاد ساويرس المقفع : سير الآباء البطاركة ، ١ : ص ٢٣١ـ٢٣٢ ، والمقريزى : الخطط ٤ : ٣٩٣ـ٣٩٤) .
=

قال أبو جعفر الطبرى : " خرج عمرو بن العاص الى مصر ، بعد ما رجع عمر (بن الخطاب) الى المدينة (من الشام بعد صلحه وامانة لاهل بيت المقدس (ايلياء) وحضوره مؤتمر الجابية) حتى انتهى (عمرو بن العاص) الى باب اليون ، واتبعه الزبير (ابن العوام بالمدد الذى ارسله الخليفة عمر) ، فاجتمعا فلقيهم هنالك ابو مريم جاثليق مصر ، ومعه الاسقف فى أهل النيات ، بعثه المقوقس لمنع بلادهم ، فلما نزل بهم عمرو قاتلوه ، فأرسل اليهم عمرو : لا تعجّلونا

= وأن الذى تولى مقابلة عمرو بن العاص ممثلا للكنيسة القبطية هو الجاثليق وهو اكبر رجل دين بالكنيسة القبطية تحت البطرك ، ، او لعله كان بمثابة البطرك نفسه اذا أخذنا بنص تعريف وظيفته بالنسبة للكنائس الشرقية التى كانت تخضع للدولة البيزنطية مثل كنيسة ارمينيا . أما الاسقف فيفهم من رواية الطبرى لفتح مصر ، ودعوة عمرو بن العاص للجاثليق والاسقف للاسلام عند وصوله الى مشارف بابليون ، ان هذا الاسقف كان اسقف مدينة بابليون ، وفى هذا ما يفيد ان المقوقس قد طلب من أكبر زعيم دينى للكنيسة القبطية بالاسكندرية ، ومن أكبر زعيم دينى اقليمى بمدينة بابليون بعد مطران بابليون الذى لعله ايضا فر الى الصحراء هربا من الاضطهاد الدينى البيزنطى ، طلب المقوقس من جاثليق الاسكندرية واسقف بابليون ، مقابلة عمر بن العاص ، على رأس الجيش الذى خرج لملاقاة المسلمين على مشارف مدينة بابليون . وفى هذا العمل من المقوقس ما يؤكد معرفته سلفا لدستور المسلمين فى الحرب ، وأنهم لا يشتبكون مع قوم فى قتال ، قبل أن يدعوهم الى الاسلام ، ويخيروهم بين الخصال الثلاثة الاسلام او الجزية او الحرب ، ويمهلونهم مهلة قدرها ثلاثة أيام . ومنطقى ان علم المقوقس بهذا الدستور الاسلامى للحرب ، قد بلغه من أخبار فتوحات المسلمين فى بلاد الشام وكانت تابعة ايضا للحكم البيزنطى ، ومن أخبار السفارات الدبلوماسية الدينية التى ارسلها النبى صلى الله عليه وسلم الى ولاة مصر الرومانية من قبل سنة ٦ هـ وسنة ١٠ هـ والتى ارسلها بعد ذلك ابو بكر الصديق سنة ١٢ هـ ، وعمر بن الخطاب سنة ١٥ هـ الى المقوقس والى مصر الرومانى .

لنحذر اليكم، وترون رأيكم بعد . فكفوا اصحابهم ، وأرسل اليهم عمرو : انى بارز فليبرز الى ابو مريم وأبو مريام ، فأجابوه الى ذلك ، وآمن بعضهم بعضا ، فقال لهما عمرو : انتما راهبا هذه البلدة فاسمعا ، ان الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأمره به ، وأمرنا به محمد صلى الله عليه وسلم وأدى الينا كل الذى امر به ، ثم مضى صلوات الله عليه ورحمته ، وقد قضى الذى عليه ، وتركنا على الواضحة ، وكان مما أمرنا به الاعذار الى الناس ، فنحن ندعوكم الى الاسلام ، فمن أجابنا اليه فمثلنا ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية ، وبذلنا له المنعة ، وقد أعلمنا انا مفتتحوكم ، وأوصانا بكم حفظا لرحمنا فيكم ، وان لكم ان اجبتمونا بذلك ذمة الى ذمة . ومما عهد الينا أمرنا : استوصوا بالقبطيين خيرا ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانا بالقبطيين خيرا ، لان لهم رحما وذمة ، فقالوا : قرابة بعيدة لا يصل مثلها الا الانبياء ، معروفة شريفة ، كانت ابنة ملكنا ، وكانت من أهل منف والملك فيهم ، فأديل عليهم أهل عين شمس ، فقتلوهم وسلبوا ملكهم واغتربوا ، فلذلك صارت الى ابراهيم عليه السلام مرحبا به وأهلا ، آمنا حتى نرجع اليك . فقال عمرو : ان مثلى لا يخدع ولكنى أؤجلكما ثلاثا لتنظرا ولتناظرا قومكما ، والا ناجزتكم ، قالا : زدنا ، فزادهم يوما ، فرجعا الى المقوقس فهم ، فأبى ارطبون ان يجيبهما ، وأمر بمناهدتهم فقالا لأهل مصر : أما نحن فسنجهد ان ندفع عنكم ، ولا نرجع اليهم ، وقد بقيت أربعة أيام ، فلا تصابون فيها بشىء الا رجونا ان يكون له أمان .(١)

فيستخلص من الحوار الذى دار بين عمرو بن العاص من ناحية وجاثليق الكنيسة القبطية السكندرية ابى مريم ، وأسقف مدينة بابليون من ناحية أخرى ابى مريام كممثلين لاكبر زعامة دينية للكنيسة القبطية بصفة عامة ، ولمدينة بابليون بصفة خاصة ، الحقائق التالية :—

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ٤/١٠٧—١٠٨ ، ابن الاثير : الكامل ٢ : ٥٦٤—٥٦٥ ابن كثير : البداية والنهاية ٧ : ٩٧—٩٨ .

١— ان عمرو بن العاص لم يكن هو البادئ بالقتال حين التقى الجمعان ، بل طلب الى الجيش البيزنطى الخارج لملاقاته على مشارف مدينة بابليون ، أن يبرز اليه كل من أبى مريم الجاثليق ، وأبى مريام الاسقف ، ليدعوهم الى الاسلام ، ويخيرهم بين اختيار خصلة من الخصال الثلاث: الاسلام ، الجزية ، او الحرب لعلهم يرتضون الاسلام أو الجزية ، فتحقن الدماء ، ويوقع عهد صلح بين الطرفين دون الخوض فى القتال ، وفى هذا تطبيق حرفى لدستور الحرب فى الاسلام ، الذى وضعه النبى صلى الله عليه وسلم وسبق الاستشهاد به بنص حديث صحيح مسلم .

٢— ابتدأ عمرو بن العاص دعوته لكل من أبى مريم الجاثليق وأبو مريام الاسقف الى الاسلام بقوله : وانتما راهبا هذه البلدة فاسمعا .. الخ " وفى هذا ما يشير الى أنه طلب عمدا ان يبرز اليه أكبر رجلين من رجال الدين بمصر ، أى أكبر عالمين بالكتب السماوية ، ليجد فيهم هذا القائد والداعية المسلم علما ببعث النبى العربى الخاتم ، والبشارة بمبعثه فى التواره والانجيل ، وأخذ الله العهد والميثاق على أهل الكتاب على نصرة هذا النبى الخاتم واتباعه عند ظهور دعوته . كما جاء فى آيات القرآن قال تعالى : " الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل "(١) وقال تعالى على لسان عيسى بن مريم : " ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد "(٢) وقال تعالى مخاطبا اهل الكتاب (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه)(٣)

٣— أبلغ عمرو بن العاص الجاثليق والاسقف ، بلاغا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ عن الله سبحانه وتعالى الرسالة

---

(١) الآية ١٥٧ من سورة الاعراف .
(٢) الآية ٦ ، من سورة الصف .
(٣) الآية ٨١ ، من سورة آل عمران .

وأتم البلاغ ، وأن هذا البلاغ هو القرآن ، الذى وضع منهج الله فى الأرض وترك المسلمين الحافظين له والعاملين به على الواضحة ، اى السراط المستقيم ، فأدى فاتح مصر بذلك فرض البلاغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فرض عين لكل من صحبه صلى الله عليه وسلم ، أو بلغته دعوته .

٤ — أوضح عمرو بن العاص للجاثليق والاسقف ، أن قبولهم هم ورعايا كنيستهم من أهل مصر لدعوة الاسلام ، سيجعلهم مساوين للمسلمين فى كل شىء ، سواء بسواء ، فى جميع الحقوق والواجبات .

٥ — اوضح عمرو بن العاص للجاثليق والاسقف ، انه يمكن للقبط ان يحتفظوا بديانتهم ، بشرط دفع الجزية ، وأن هذه الجزية هى نظير تقديم دولة الاسلام للقبط الحماية والمنعة والدفاع عنهم ، ضد اى خطر خارجى ، سواء تمثل فى الدولة البيزنطيةالتى ظل القبط يخضعون لها قرون عديدة ، أو تمثل فى أى خطر خارجى آخر .

٦ — اخبر عمرو بن العاص الجاثليق والاسقف ان النبى صلى الله عليه وسلم قد تنبأ للمسلمين ، قبل قيام دولتهم ، وقبل بدء حركة الفتوحات الاسلامية خارج الجزيرة العربية — التى تمت بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم سنة ١١ هـ وفى خلافة ابى بكر سنة ١٢ هـ — ، بأن المسلمين سيفتحون مصر . وفى هذا الاخبار لفت من عمرو بن العاص لهذين الراهبين ، الى احدى دلائل نبوة النبى العربى صلى الله عليه وسلم .

٧ — أخبر عمرو بن العاص الجاثليق والاسقف بوصية النبى صلى الله عليه وسلم بقبط مصر ، بعد فتحهم لمصر ، وطمأنهما بأنه اذا كان المسلمون يحترمون عهودهم لأهل الذمة كما حدث فى فتوح العراق والشام وغيرها ، وكما اشتهر عنهم فى الآفاق لدى شعوب العالم الناشدة للحرية وخلع نير الفرس والروم . فانه سوف يراعى للقبط بصفة خاصة ذمة الى ذمة تنفيذا لوصية النبى صلى الله عليه وسلم بالقبط ، ورعاية لصلة الرحم والنسب القديمة التى تربط بين العرب والقبط منذ عصر ابراهيم أبى الانبياء .

٨— أخبر عمرو بن العاص الجاثليق والاسقف ، أن امير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب ، قد أخذ عليه عهدا حين اجتمع به في مؤتمر الجابية بالشام ، وأمره بالمسير الى مصر لفتحها ، أن يستوصي بالقبط خيرا ، وروى له حديث النبي صلى الله عليه وسلم بوصيته بالقبط خيرا ، لأن لهم مع العرب رحما وصهرا ، وفي هذا طمأنة لكل من الجاثليق والاسقف وأهل مصر ، ان خليفة المسلمين ، ورئيس دولة الاسلام ، سوف ينفذ لقبط مصر بعد فتح بلادهم ، وصية النبي صلى الله عليه وسلم بهم .

٩— استدل كل من الجاثليق والاسقف من حرص النبي صلى الله عليه وسلم على صلة الرحم بين العرب والقبط ، وهي صلة قديمة تبلغ آلاف السنين على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، لانه لا يصل مثل هذه القرابة البعيدة ، الا نبي .

١٠— حكى كل من الجاثليق والاسقف ، بما لهما من علم بالكتب السماوية القديمة ، ومعرفة بتاريخ مصر القديم ، قصة هاجر أم اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام ، ابو العرب المستعربة ، وكيف آلت الى ابراهيم عليه السلام بالتسرى ، وأنها كانت من بيت مالك بمنف . ومن أهل الشرف والجاه . وفي هذا تعضيدا لما يربط العرب والقبط من صلة القرابة والنسب واشارة الى اعتزاز القبط بهذه القرابة .

١١— حدد عمر بن العاص فترة الامان لكل من الجاثليق والاسقف واهل مدينة بابليون " منف " بمدة ثلاثة ايام ، وهي المدة التي حددها النبي صلى الله عليه وسلم في الدستور العام للقتال بعد دعوة القوم الى الاسلام ، انتظارا لمناظرة اهل الرأى والزعامة الدينية في كل قوم لقومهم واقناعهم بدعوة الاسلام او قبول دفع الجزية ، أو الحرب . وهذا ما يتضح من قول عمرو : "أؤجلكما ثلاثا ، لتنظرا ولتناظرا قومكما " .

١٢— تسامح عمرو بن العاص مع الجاثليق والاسقف ، حين طلبا زيادة المدة يومان ، أى لتصبح خمسة أيام ، فزادها لهم ، مراعاة لوصية النبي صلى الله عليه وسلم ، بالقبط ، وحرصا على تآلف قلوبهم ، ودخولهم في الاسلام ورغبة في حقن دماء القبط ، وتجنيبهم ويلات الحرب بقدر المستقدر .

١٣ ـ عرض الجاثليق والاسقف حين رجعا الى المقوقس والى مصر الرومانى ـ وكان آنذاك قد غادر عاصمته الاسكندرية ونزل حصن بابليون ليشرف عن كثب على مواجهة الفتح الاسلامى لمصر ـ الخصال الثلاث التى عرضها عليهما عمرو بن العاص ، فهم المقوقس باعلان قبوله الصلح ، والتخلى عن الحرب ، وترك الامر لاهل مصر لاختيار احدى الخصلتين اللتين يضمنهما لهم الصلح : الاسلام اوالجزية . الا أن القائد الرومانى الشهير الارطبون ـ وكان قائد جيوس الروم فى الشام ، ثم انسحب بعد هزيمته أمام العرب الى مصر ـ ، قد رفض التسليم للمقوقس بالموافقة على الصلح . وعزم على محاربة العرب ، وآرغم المقوقس على الاذعان الى رآيه .

١٤ ـ كان رأى كل من الجاثليق والاسقف من رأى المقوقس والى مصر الرومانى وهو رفض الحرب ، وتخيير قبط مصر والحاميات الرومانية بمصر ، بين الدخول فى الاسلام ، اوالبقاء على النصرانية ، نظير دفع الجزية وهى ضريبة المنعة والحماية والدفاع . فآخبروا اهل مصر بآنه قد بقى على فترة المدة أربعة ايام ، وأنهم سيتجتهدون فى خلال هذه الايام الاربعة فى أخذ أمان شامل لأهل مصر من عمرو بن العاص ، كما نصح الجاثليق والاسقف لاهل مصر عدم التورط فى أى عمل معادى لجيش المسلمين ، حتى يضمنوا لهم صلحا شاملا لاهل مصر كلهم .

ويخبرنا يوحنا النقيوس ، اسقف نقيوس وهو ممن عاصر الفتح الاسلامى لمصر ، بالخطة التى سلكها المسلمون فى فتحهم لمصر ، وهى تركهم القلاع والحصون والمدن المنيعة التى حصنها الروم ، بعد ضرب الحصار حولها ، وتوغل باقى كتائب وسرايا الجيش الاسلامى الى قرى الريف المصرى (١) . وهذه الخطة تدلنا فى

---

(١) انظر Chronique de Jean P.P. 230-232. وقارن الخبر الذى تفرد به البلاذرى عن الكتائب والسرايا التى بعثها عمرو بن العاص لفتح اقاليم الوجه البحرى ، والوجه القبلى بمصر ، وأهم مدنها الحصينة فى فتوح البلدان ص ٢٥٤ ، خبير رقم ٥٣٨ ، الطبرى : تاريخ الرسل ج ٤ ، ص ١٠٨ .

الواقع على جهود قواد كتائب وسرايا الجيش الفاتح لمصر ، في دعوة أهل مدن وقرى أقاليم الديار المصرية التي يمرون بها الى الاسلام ، محاولين تألف قلوبهم ، واستمالتهم الى الاسلام ـ وذلك قبل سقوط الحصون والقلاع والمدن الكبرى ، التي تتحصن فيها القوات والحاميات الرومانية البيزنطية ، التي يتحكم في موقفها السياسي والعسكري والديني ، الامبراطور البيزنطي بالقسطنطينية . كذلك شهد الاسقف يوحنا النقيوسي وشهادته شهادة معاصر ، أن عمرو بن العاص قد تولى حماية ممتلكات الكنائس ، ولم ينهب ، ولم يأخذ غير الجزية التي اشترط عمرو دفعها .(١)

وقد أمدنا كل من الواقدي في كتابه فتوح مصر والاسكندرية ،(٢) وابن اسحاق الاموي في كتابه فتوح مصر والشيخ محمد المعز صاحب كتاب فتوح البهنسا ،(٣) على تفاصيل وافية عن تخييم قواد الكتائب والسرايا التي ارسلها عمرو بن العاص ابان حصاره لحصن بابليون ، والاسكندرية (سنتي ٢٠ـ٢٢ هـ) لفتح اقاليم ومدن الوجه البحري والقبلي بمصر ، لأهل مدن وقرى الوجه البحري والوجه القبلي بمصر بين الخصال الثلاث : الاسلام أو الجزية او الحرب ، قبل قتالهم ، وأن بعض هذه المدن والقرى قد اختار الاسلام ، والبعض الآخر اختار الحرب ، كما اخبرتنا هذه المصادر ان الجيوش الاسلامية ، قد بلغ حرصها على تبليغ دعوة الاسلام لأهل القرى ، انها كانت تعبر بالمراكب ضفتي النيل ، من ضفة الى اخرى ، لعرض الاسلام على أهل كل قرية يمرون بها ، وتخييرهم بينه وبين الجزية ،

---

(١) انظر Chronique de Jean P.P. 261-232.

(٢) انظر الواقدي : فتوح مصر والاسكندرية ، طبع ليدن سنة ١٢٣١ هـ ، مع شرح باللغة اللاتينية للمستشرق هنريك ارند .

(٣) ابن اسحاق الاموي : فتوح مصر وأعمالها على أيدي الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، طبع حجر بالقاهرة سنة ١٢٧٥ هـ .

(٤) محمد بن محمد المعز : فتوح البهنسا ، طبع في ذيل فتوح الشام للواقدي طبع الحلبي ، سنة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م .

سواء كانت هذه القرية على الضفة الشرقية أو الغربية من النيل ، وفي ذلك قمة الحرص على تبليغ دعوة الاسلام ، وعلى حقن الدماء وتجنيب اهل مصر ويلات القتال .

ولأن جروهمان لم يطلع على كتابي فتوح مصر والاسكندرية للواقدي ، وفتوح مصر واعمالها لابن اسحاق الاموي ، لم يقف على ذكر المصادر العربية الاسلامية التي ارخت للفتح الاسلامي لمصر لدور السفن والمراكب الحربية في فتح داخلية البلاد المصرية ، وهو أمر اشار له ابن عبد الحكم ايضا في فتوح مصر عند حديثه عن فتح الاسكندرية ، والبلاذري عند حديثه عن فتح مدن الوجه البحري شرقي الدلتا ، ولانه ايضا لم يقرن بين هذه الظاهرة ، ومهمة دعوة اهل القرى على ضفتي النيل الى الاسلام ، وتخطي الفاتحين للقلاع والمدن الحصينة التي تعترض الطريق البري الى جنوب مصر . كتب جروهمان يقول عند دراسة لاوراق البردي العربية الخاصة بالفتح الاسلامي لمصر والمؤرخة سنة ٢٢ هـ ، والمحفوظة بمكتبة البرتينا بالنمسا . "علمنا من البرديات ان عبد الله بن جابر (احد قواد سرايا المسلمين الزاحفة لفتح الصعيد سنة ٢٢ هـ) تقدم بجيوشه كاملة العدد والعدد ، وأن بجانب جيوشه المدرعين بين مشاه وركبان كانت سفنه الحربية تتبع ميادين الحرب في الوجه القبلي ، ولا نجد تفصيلا مثل ذلك في المصادر التاريخية"(١)

ويعد البردي العربي دليلا وثائقيا ، لحسن معاملة العرب للقبط ابان الفتح الاسلامي لمصر ، وللطابع الانساني والسلوك الحضاري للفاتحين . ولقد عثر في الربع الاخير من القرن التاسع عشر على عدة وثائق بردية مؤرخة تتعلق بالفتح الاسلامي لمصر . وقد آلت اغلب هذه البرديات المتعلقة بالفتح الى مجموعة الارشيدوق راينر بالنمسا ، (*) المحفوظة الآن بمكتبة البرتينا بالنمسا ،

---

(١) انظر نجروهمان : اوراق البردي العربية ، المحاضرة الثالثة ، ص ٣ـ٥ .

(*) هي المحفوظة الآن تحت رقم ٥٥٠ الى ٥٦٧ . بمكتبة البرتينا بالنمسا . انظر ما تقدم في هذا البحث .

كما آل بعضها الى مكتبة متحف برلين .

ولقد أدرك المستشرقون والتجار الاوربيون الذين كانوا ينقبون عن البرديات أهمية هذه الوثائق البردية المتعلقة بالفتح الاسلامي لمصر . فقد كتب التاجر النمساوى تيودور جراف ، الى المستشرق النمساوى يوسف كرا ابتشاك الذى كان قد كلفه بالتنقيب والبحث عن البردى بمصر ، وذلك في رسالة بعثها جراف الى كرابتشاك في منتصف ديسمبر عام ١٨٨٥ : " معروفا هنا أن جواسيس الحكومة المصرية (!؟) منتشرون في كل مكان يحاولون ان يعرفوا اين عثر او يعثر على البردى ، ومن الذى عثر عليه . ولهذا فان مصادر البردى لابد ان تتوقف وتصمت لفترة طويلة ، واعتقد انه بمجرد نشرك ما اعددت من مجموعتنا من البردى - وفيها وثائق بالغة الاهمية عن غزو المسلمين لمصر - سيكون من الخطر المجازفة بالسؤال عن البردى بمصر ، فما بالك بمحاولة تصديره الى الخارج "(١)

وقد تناول ادولف جروهمان بعض الوثائق البردية المتعلقة بالفتح الاسلامي لمصر بالنشر والدراسة ، مستهلا هذه الدراسة بقوله عن الفتح الاسلامي لمصر : " ها أنا ادلكم على مستند فى غاية الاهمية يبين لكم بوضوح سلوك الجنود وحسن معاملتهم للأهالى ، وهو اقدم المستندات في عهد الاسلام ، ان تاريخه جمادي الاولى سنة ٢٢ هـ ، على أنه مع ذلك اقدم المستندات في عهد الاسلام ، اذ تاريخه جمادى الاولى سنة ٢٢ هـ ، على أنه اقدم ورقة مكتوبة باللغتين (العربية واليونانية) من عهد الفتح العربى لمصر . وهذا المستند محفوظ بين المجموعة المشهورة التي اقتناها من الاوراق البردية الارشيدوق راينر في فينا .

---

(١) انظر عائشة عبد الرحمن : تقرير عن اوراق البردى في مكتبة فينا البرتينا ، ص ١٨-١٩ ، وانظر مجموعة الرسائل المتبادلة بين تيودور جراف يوسف كراباتشك والارشيدوق راينر نشرها الدكتور هربت هونجر في فينا سنة ١٩٦٢م .

Hunger, H: Aus der vorgeschichte der Papyruss-ammlung der Osterreichischen Natcionalbibliothek=Briefe Theodor grafs, J.V. Karabacek. Erzhczog Rainer. Wien, 1962.

اللـــــــــه

سطر ـ بسم الله " انا الامير عبد الله " اكتب اليكما خريسطفورس وتيود وراكـــــس عاملى هراكليوبولس ٠

سطر ٢ ـ لامداد المسلمين الذين معى أخذت ٦٥ (خمسة وستين) شاه فقـــط فى هيراكليـــوبولس ٠

سطر ٣ ـ بلا زيادة ، ولايضاح ذلك حررت هذا الاقرار وكتبته انا " حنا العمـــدة والشماس" فى ٣٠ برمودة من السنة الاولـــى من البريودس الاول ٠

سطر ٤ ـ بسم الله الرحمن الرحـــيم ٠ هذا ما أخذه عبد الله ٠

سطر ٥ ـ ابن جابر وجنوده من الشاء المخصصة للذبح فى هيراكليوبولس اخذنـــا من هذه الشاء خمسين ٠

سطر ٦ ـ من نائب تيود وراكس الابن الثانى لبلانبا كيروس ومن وكيل خريسطـــــور، اكبر اولاد الانبا كيروس ثم ٠

سطر ٧ ـ خمس عشرة شاه اخرى اعطاها لتذبح لحاشيته فى مراكبه وخيالتـــه والراجلين المدرعين تحرر فـــى ٠

سطر ٨ ـ شهر جمادى الاولى من سنة اثنتين وعشرين ٠ كتبه ابن حديد ٠

وفى ظاهرة الورقة ما ترجمته " اشهاد لوضع الشاه تحت تصرف المهاجرين وغيرهم عند سفرهم بالنهر الى الوجه القبلى واعطيت هذه الشاه وسلمت بمقتضى الحساب خصما من المخصصات فى المدة الاولى ٠

نص الكتابة العربية التى بعد اليونانية : " بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اخـذ عبد الله بن جبر واصحابه من الجزر من اهناس اخذنا من خليفة ندراق ابن ابو قيـــــر الاصغر ومن خليفة اصطفن ابن ابو فير الاكبر خمسين شاه من الجزر وخمس عشرة شاه اخرى اجزرها اصحب سفنه وكتائبه وثقلاه فى شهر جمادى الاولى من سنـــة اثنتين وعشرين وكتـــب ابن حديد "(١)

---

(١) ادولف جروهمان : اوراق البردى العربية ، المحاضرة الثانية ، ص١١ـ١٢

وعلق جروهمان على هذه الوثيقة البردية البالغة الاهمية بقوله : " اتضح لنا مما مر ذكره في المحاضرة السابقة ، ان الامير عبد الله بن جابر اثناء زحفه على الوجه القبلي ، فرض على اهناس (هيراكليوبوليس ماجنا) تقديم ٦٥ شاه لاطعام جنوده ، وانه يقر بتسليمها من النائبين الاثنين القائمين مقام صاحب الكورة اليوناني (Pagarche grec) ثم يأمر بخصمهما من حساب رسوم السنة الجارية عن المدة الخراجية الاولى . وبعبارة اخرى ان القائد غذى جنوده من الخزانة العامة . فما كتبه لم يكن في الواقع الا ضمانا لما وصله مقدما من وكلاء هيراكيلوبولس ، وان تلك الدفعة المقدمة تسلمها فعلا ، وأمد بها جنوده مؤونة لغذائهم . وعلى اساس هذا المستند الرسمي ، اصبح ماحق عليهم من الخراج ملغى اداؤه في حينه ، اذن فليس هناك اغتصاب للحصول على مؤن الا في حالة الحرب . وزيادة على ذلك فان هناك ضمانا لخزانة الضرائب للتأكد من وصول مواد الغذاء وليس في المستند شيء غير ذلك .(١)

كذلك علق جروهمان على بقية الوثائق البردية الخاصة بالفتح الاسلامي لمصر ، التي نشرها ودرسها ، وهي من مجموعة مكتبه البرتينا بالنمسا . بقوله : " ونادر ان نرى مثل هذا الاعتدال في القول او مثل هذا التحفظ مع الاهالي من فاتح "(٢)

---

(١) جروهمان : اوراق البردى العربية ، المحاضرة الثالثة ، ص٣ـ٤ .

(٢) نفس المرجع ، المحاضرة الثالثة ، ص ٦ .